

**الحياة السياسية في بخارى في عهد الدولة الخانية
(389 : 607هـ / 999 : 1210م)**

عبد الناصر إبراهيم عبد الحكيم
مدرس بكلية الآداب - جامعة أسيوط

oboeikan.com

الحياة السياسية في بخارى في عهد الدولة الخانية^١

(389 : 607 هـ / 999 : 1210 م)

(*) اكتنف تاريخ هذه الدولة كثير من الغموض مما سبب حيرة لدى كثير من المؤرخين ، فقد ذكر العروضي السمرقندي: جهاز مقالة ، ترجمة عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط الأولى ، 1949 ، ص 141 : أن تاريخ هذه الطائفة غير واضح «وما ذكر عنهم في كتب التاريخ ضعيف وناقص ومتناقض ولا يتفق فيه اثنان ، وابتداء ظهورهم ليس محققاً» .
في حين أن جوزجاني: طبقات نصري ، انجمن تاريخ أفغانستان ، كابل ، چاپ دوم 1342 لم يذكر شيئاً عن الدولة الخانية .

وذكر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، د . ت ، المجلد الرابع ، ص 395 أنه استقى أخبار الدولة الخانية من كتاب ابن الأثير وهي «ليست جلية ولا متضحة» .
وقال أيضاً: «إني لم أوفها حقها من الترتيب لعدم وضوحها» .

وذكر بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة حسين علي اللبودي ، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت ، ط 2 ، 1995 ، ص 164 : «إن مهمة التوصل إلى نسبهم وتسلسل حكامهم ... مهمة بالغة الصعوبة» .

وذكر زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة زكي محمد حسن ، حسن أحمد محمود ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، 1951 ، ص 312 : إنها «الدولة الكبيرة التي ما زالت وحدها غامضة النسب» .

وذكر ستانلي لين بول: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، دار المعارف ، مصر ، 1972 ، ص 280 : «المعلومات الموجودة عن آل افراسياب ، أي «الإيلك خانات» سطحية جداً ، ومن الصعب تعيين حدود البلاد التي كانت تحت حكمهم أو بيان إماراتهم ، بل إن التواريخ الخاصة بهم غير معينة أيضاً» .

وذكر محمد عاطف: تاريخ كاشغر ، مطبعة سي باب عالي ، استانبول 1300 ، ص 63 : «المعلومات عن خانات كاشغر غير دقيقة والروايات متناقضة» .

والواقع أن هذا الغموض أدى بكثير من المؤرخين إلى الإحجام عن ذكر هذه الدولة للصعوبات الشديدة التي تقابلهم في جمع المادة العلمية لهذه الدولة .

وقد قمنا بالاطلاع على كثير من المصادر العربية والفارسية والمراجع العربية والأجنبية ، حتى يتم إخراج الموضوع بشكل متكامل يلقي الضوء على جانب من تاريخ هذه الدولة .

موقع بخارى⁽¹⁾:

بخارى من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها. وهي مدينة قديمة ، نزهة بلاد ما وراء النهر ، ليس في الإسلام بلد أحسن خارجاً منها ، لأنك إذا علوت قهندزها لم يقع بصرك من جميع النواحي إلا على خضرة متصلة خضرتها بخضرة السماء⁽²⁾.

وهي مدينة على أرض مستوية وبنائها خشب مشبك ، ويحيط بهذا البناء من القصور والبساتين والمحالّ والسكك المفترشة والقرى المتصلة سور طوله اثنا عشر فرسخاً في مثله، يجمع هذه القصور والأبنية والقرى والقصبة⁽³⁾. وليس بما وراء النهر

(1) بخارى: بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة ثم ألف وراء مهملة مفتوحة من قواعد ما وراء النهر. السمعاني: دار الجنان بيروت، لبنان، ط الأولى 1408هـ - 1988م، ج1، ص 293. أبو الفدا: تقويم البلدان، طبع في مدينة باريس بدار الطباعة السلطانية 1840م، ص 488. وبخارى كلمة بهلوية بمعنى مجمع العلماء وكانت مجمعاً لعلماء الديانة الزرادشتية قبل الإسلام [بخ: الله، را: للملكية].

أمين مدني: الثقافة الإسلامية وحواسرها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م، ص 186. محمد علاء الدين منصور: تأصيل بعض الألفاظ الأعجمية الواردة بمصادر تاريخ المشرق الإسلامي، مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب، جامعة المنيا، العدد الأول، يناير 2000، ص 412. وقد ذكر الثعالبي أنها كانت في القرن الرابع الهجري «مثابة المجد وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر». الثعالبي: يتيمة الدهر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى 1403هـ / 1983م، ج4، ص 115.

وتقع الآن في جمهورية أوزبكستان. طه عبد العليم رضوان: في جغرافية العالم الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط الرابعة 1409هـ / 1989م، ص 216.

يسري الجوهري: آسيا الإسلامية، دار المعارف، 1980م، ص 198، 199. الموسوعة العربية العالمية، المجلد الرابع (مادة بخارى) مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط الثانية 1419هـ / 1999م، ص 239.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى 1410هـ / 1990م، ج1، ص 419، 420. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص 509. (3) ابن حوقل: صورة الأرض، ليدن، 1938، ص 482.

وخراسان⁽⁴⁾ بلد أحسن قيامًا بالعمارة على ضياعهم من أهل بخارى ولا أكثر عددًا على قدرها في المساحة⁽⁵⁾.

وتحتوي بخارى على عدد من المدن داخل سورها وخارجه، فأما المدن داخل السور فهي الطواويس، ونومجكث، وزندنه، ومغكان، خجادة، وخارج السور بيكند، وفربر، وكرمينية، وخديمنكن، وخرغانكث، ومذيا مجكث⁽⁶⁾.

وتضم بخارى عددًا من الرساتيق⁽⁷⁾ منها الذر وفرغيدد وسخر، والطواويس وبورق، وخرغانة السفلي وبومة، ونجار جفر، وكاخشتوان، وانديار كندمان، وساجمن مادون، وساجمن ما وراء، وفراور العليا داخل السور. وخارج السور رساتيق جزة، شابخش، ويسير، وكرمينية، وخزغانة العليا ورامند وبيكند وفربر⁽⁸⁾.

(4) خراسان: تعني بلاد الشمس المشرقة وهي مركبة من (خر) بمعنى الشمس وآسان بمعنى مشرقة. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، مؤسسة ناصر للثقافة، ط الثانية 1980، ص 214. تقع خراسان في شرق الدولة الإسلامية، يحدها شرقًا سجستان والهند، وغربًا صحراء الغز وجرجان، وشمالًا بلاد ما وراء النهر، وجنوبًا صحراء فارس وقومس. الإصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مراجعة محمد شفيق غريال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2004، ص 145. وتقع الآن في الحدود الشمالية لأفغانستان والشمالية الشرقية لإيران وجمهورية تركمنستان، طه عبد العليم رضوان: المرجع السابق، خريطة ص 212. ويطلق اسم خراسان الآن على محافظة شمال شرق إيران.

George N. Curzon Persia, London 1892, Vol 1, pp 177, 178.

(5) الإصطخري: المصدر السابق، ص 165.

(6) الإصطخري: المصدر السابق، ص 175.

لسترايج: بلدان الخلافة الشرقية ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة بغداد 1954م، ص 505، 506.

(7) الرستاق: مجموعة من القرى، وكل موضع فيه مزارع وقرى.

محمد شيت خطاب: قادة فتح بلاد فارس، دار الفتح، بيروت، ط الأولى 1385هـ/ 1965م، ص 226، 345.

(8) الإصطخري: المصدر السابق، ص 173. ابن حوقل: المصدر السابق، ص 485.

ذكر الإصطخري أسماء بعض المدن في الرسائل أيضًا مثل الطواويس وكرمينية وبيكند وفرير، من المحتمل أن اسم الرستاق أطلق على المدينة على أساس أن الرستاق يحتوي على عدد من القرى. أو يكون قد اختلط الأمر عليه على أساس أن المدينة أيضًا تحتوي على عدد من القرى.

وقد ذكر المقدسي أن لبخارى « ستة عشر ألف قرية »⁽⁹⁾ وهذا الرقم مبالغ فيه لا يتناسب مع مساحة بخارى، وربما يرجع هذا الخطأ لأن المقدسي قد أضاف لبخارى كاش ولسف والصغانيان ومدنها.

الدولة الخانية :

دولة تركية حكمت منطقة التركستان الشرقية (كاشغر)⁽¹⁰⁾ والتركستان الغربية (ما وراء النهر) من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، حتى مستهل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي⁽¹¹⁾.

وتنسب هذه الدولة إلى أسرة تركية⁽¹²⁾ تنحدر من قبيلة

(9) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن 1906، ص 268.

(10) كاشغر: هي مدينة وقرى ورساتيق، وهي في وسط بلاد الترك. ياقوت: المصدر السابق، ج7،

ص 114. وهي قاعدة تركستان وتسمى أردوكند. أبو الفدا: المصدر السابق، ص 505.

(11) دائرة المعارف الإسلامية، (مادة الأيلكخانية)، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الششتاوي

وعبد الحميد يونس، دار الشعب، القاهرة 1933، ج5، ص 399.

(12) ذكر الكاشغري أن الترك في الأصل عشرون قبيلة، فأول القبائل قرب الروم، بجنك، ثم قفجاق،

ثم اغز، ثم بياك، ثم بشغرت، ثم بسمل، ثم قاي، ثم بياقو، ثم تثار، ثم قرقر، وهذه قرب الصين.

هذه القبائل كلها بحذا بحر الروم ممتدة إلى الشرق، ثم جكل، ثم نخسى، ثم بغها، ثم اغراق، ثم

جرق، ثم جعل، ثم ايغر، ثم تنكث، ثم ختاي، هي الصين، ثم تفغاج وهي ماصين، وهذه القبائل

متوسطة بين الجنوب والشمال.

محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري: ديوان لغات الترك، نسخة عن ميكروفيلم - مركز

الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة، ص 20، 21.

القرارلوق⁽¹³⁾ إحدى قبائل الأويغور⁽¹⁴⁾.

ويذكر بعض المؤرخين أن ديار القرارلوق من الأتراك الشرقيين تعرضت لغزو قبيلة اليغما إحدى قبائل الأويغور. وأن اليغما كانت ديارهم تشمل كاشغر وشرطرا من البلاد الواقعة بين الحوض الأدنى لنهر إيلي الذي يصب في بحيرة ولخش والمجرى الأدنى لنهر شو الذي يصب في بحيرة أسيك كول⁽¹⁵⁾.

(13) أكد ذلك كثير من المؤرخين مثل:

بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996م، ص 94.

نفس المؤلف: تاريخ إيران درقرون نخستين اسلامي، ترجمة جواد فلاطوري، شركت انتشارات علمي وفرهنكي، چاپ سوم 1349، جلد أول، ص 190، 201.

عبد الرفيع حقيقت: تاريخ نهضتهاي ملي ايران، مجموعة تاريخ وفرهنك ايران، د. ت، ص 200.

- Bosworth and Clouston, Al-xwarazmi on the peoples of central Asia, Journal of the Royal Asiatic society, 1965, p.5.

- Bosworth, The Heritage of Rulership in early Islamic Iran and the search for Dynastic connections with the past, Iranian Studies, Vol, XI, 1978, p 27.

- Bosworth, The medieval History of Iran, Afghanistan and central Asia, London, 1977, XIII, p 240.

- Grousset, Histoire del'Asie, Paris, 1921, p 155.

دائرة المعارف الإسلامية مادة «الايلكخانية» ج5، ص 400.

- The Cambridge History of Islam, Vol 1, The central Islamic lands, Cambridge, 1970, p146.

- The New Encyclopaedia Britannica, Vol 9, «Qaraghanid» Chicago, p 832.

(14) Sykes, A History of Afghanistan, London, 1940, Vol 1, p 184.

وقد ذكر انتسابهم إلى الأويغور:

- إبراهيم فنغ جين يوان: الإسلام في الصين، ترجمة محمود يوسف لي هواين، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، ط الأولى 1991، ص 23: 25.

- طه ندا: التورانيون والإيرانيون، مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية، مجلد 23 سنة 1969، ص 14.

(15) حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار الفكر العربي، 1968، ص 152.

- Barthold, Four Studies on the History of Central Asia, Leiden, 1962, Vol 1, p 92.

ولكن محمود الكاشغري⁽¹⁶⁾ لم يشر إلى انتهاء الخانيين إلى ياغما. ولا يذكر ياغما إلا بوصفهم قوما كانوا يعيشون في أيامه شمالاً في وادي نهر أيله⁽¹⁷⁾.

وذكر نظام الملك أنهم من الجكليين⁽¹⁸⁾ وشعب جيكييل كان يسكن على الساحل الشمالي لبحيرة ايصيغ، وفي القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي كان اسم جيكييل يطلق على عدة أقوام تركية بعد أن كان قد نسي. وفي عهد ملكشاه السلجوقي (465: 485هـ / 1072: 1092م) كان هذا الاسم يطلق حسب بعض الروايات على جيش الخانيين إبان غزو هذا السلطان لبلاد ما وراء النهر.

وذكر الكاشغري أن الغز يطلقون كلمة جيكييل على أقوام الترك المنتشرة من نهر جيحون إلى الصين، ورغم ذلك لم يثبت انتهاء الخانيين إليهم⁽¹⁹⁾.

وقد ذكر الكاشغري أن جيكييل وياغما نقلوا مساكنهم نحو الشمال، ولم يقل مثل ذلك عن القارلوق⁽²⁰⁾ لذلك نستبعد أن تكون أسرة الخانيين من جيكييل وياغما، ومن الثابت أنه تم الاستعانة بهم في الجيش أو سكنوا بجوارهم في بعض الأحيان؛ لذا نرجح انتهاء الأسرة الخانية إلى قبيلة القارلوق.

(16) محمود الكاشغري: محمود بن حسين بن محمد الكاشغري (400: 499هـ / 1008: 1105م) من مواليد قرية آرك بناحية أوبار التابعة لكاشغر عاصمة الخانيين، تعلم في مدارس كاشغر علم التوحيد والأحكام الشرعية والتاريخ والجغرافيا والمنطق والفلك والطب واللغة. وعندما قتل والده في انقلاب عام (450هـ / 1058م) غادر بلده وتقل في بلاد الترك حتى وصل إلى بغداد مركز الحضارة الإسلامية عام (466هـ / 1072م)، وفي تلك الفترة التي امتدت 14 عامًا قام باستقصاء مفصل لمزايا اللغة التركية بين مختلف القبائل، كما اطلع على حضارة الأتراك. وفي بغداد ركز جهوده على تعلم اللغتين العربية والفارسية. وبفضل تعمقه في اللغة التركية وسعة اطلاعه قام بتأليف قاموس اللغة التركية «ديوان لغات الترك» وقدمه إلى الخليفة العباسي المقتدر عام (470هـ / 1076م).

إبراهيم فنغ جين يوان: المرجع السابق، ص 200، 201.

(17) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص 91.

(18) نظام الملك: سياست نامه، ترجمة يوسف حسين بكار، دار الثقافة، الدوحة - قطر، ط الثانية 1407هـ / 1987م، ص 136.

(19) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص 92.

(20) بارتولد: المرجع السابق، ص 93.

وذكر بوزورث: أن القارلوق كانوا داخلين في حلف الترك الأرخونية أو التتوجوية، ثم أصبحوا بعد عام 126هـ/ 742م جزءاً من الحلف الثلاثي الذي ضم القارلوق والأويغور والباسمل، وهو الحلف الذي خلف التتوجوية في منغوليا⁽²¹⁾. لذلك من المحتمل أن هذا الحلف ضم بعض قبائل الأويغور الأخرى أو أعاد القارلوق إلى القبيلة الرئيسية الأويغور.

كان القارلوق يشغلون المنطقة الواقعة بين الغز والتغزغز⁽²²⁾ وترجع نشأة حكم القارلوق في منطقة سميريتشي «يتي صو» «بلاد الأنهار السبعة» إلى عام (143هـ/ 760م) في الجزء الغربي من تركستان الصينية⁽²³⁾.

ويذكر بارتولد: أن القارلوق «يسميه المولفون الفرس خلخ وهم قوم يعيشون على حدود البلاد الإسلامية قريباً من طراز من ناحية الشرق. وكانت بعض مدن تركستان الصينية تابعة لهم، ومن بين هذه المدن مدينة بنجول المسماة بالصينية «وين - صو»⁽²⁴⁾.

وقد تأثر القارلوق بالفرس أكثر مما تأثر بهم الغز وكانوا إلى أن قبلوا الإسلام أكثر اتصالاً بالمدينة الإسلامية من غيرهم من الترك⁽²⁵⁾.

وصفوة القول أن الدولة الخانية انحدرت من قبيلة القارلوق إحدى قبائل الأويغور. وكانت هذه القبيلة تعيش على حدود البلاد الإسلامية قريباً من طراز، ثم سيطرت على منطقة التركستان الشرقية والغربية. وقد انضمت إلى قبيلة القارلوق قبائل تركية أخرى مجاورة لها مثل الجيكييل والياغما والباسمل والأويغور فيما يشبه الاتحاد تحت زعامة القارلوق.

(21) دائرة المعارف الإسلامية (مادة الأيلكخانية) ج5، ص 400.

(22) بارتولد: تاريخ الترك، ص 90.

(23) نفس المرجع السابق، ص 68.

(24) نفس المرجع السابق، ص 92، 93.

(25) نفس المرجع السابق، ص 93.

وقد ذُكرت الدولة الخانية في التاريخ بعدة أسماء منها آل خاقان «الملوك»⁽²⁶⁾ والخانية، والايك خانية «ملك القبيلة»⁽²⁷⁾ والقراخانية «الملك الرئيس»⁽²⁸⁾ وأطلق عليهم آل أفراسياب، نتيجة لتأثرهم بالملاحم الفارسية ونعلم من محمود الكاشغري أن أفراسياب هو بعينه البطل التركي «ألب أرثونگا»⁽²⁹⁾.

(26) خاقان: خفت خان: ملك. محمد علاء الدين منصور: المقال السابق، ص 412.

(27) آيل: قبيلة - مملكة.

ش سامى: قاموس تركى، دار سعادت أقدام مطبعة سي باب عالي جاده سنده، دائرة مخصوصة سنده: 1317. ص 246.

ايك: أول - مقدم.

محمد على الأنسي: الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، قاموس اللغة العثمانية، د.ت، ص 91. ايلك خان: ملك القبيلة. محمد علاء الدين منصور: المقال السابق، ص 411، 412.

(28) قرا: أسود. الصفصافي أحمد المرسي: معجم صفصافي، القاهرة، 1979، ص 222.

قرا: قرية. سامى: القاموس السابق، ص 1059.

وذكر بوزورث: قره: استعملت للدلالة على نقطة الشمال الأولى في البوصلة، ومن ثم انصرف معناها إلى الرئيسي أو الرأس.

ويرجع اسم القراخانية إلى المستشرقين وعلماء المسكوكات في القرن التاسع عشر الميلادي.

دائرة المعارف الإسلامية (مادة الايلكخانية) ج5، ص 399، 400.

(29) العروضي السمرقندي: المصدر السابق، ص 141.

بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص 103.

بارتولد: تاريخ إيران درقرون نخستين اسلامى، جلد أول، ص 190.

فراى: بخارا دستاورد قرون وسطى، ترجمة محمود محمودي، شركة انتشارات علمي وفرهنكى،

چاب دوم، 1365، ص 164.

- Bosworth, The Medieval History of Iran, VII, p 62.

- Howorth, The Northern frontagers of China, Journal the Royal Asiatic Society, 1898, p 467.

دائرة المعارف الإسلامية، «الايكخانية» ج5، ص 400.

وقد ذكر بوزورث أن المصادر الإسلامية المعاصرة كثيرًا ما تشير إلى الأسرة بأنها الأسرة الخانية⁽³⁰⁾.

وبذلك يتضح لنا تعدد الأسماء التي أطلقت على الدولة الخانية مثل آل خاقان، والايك خانية، والقراخانية، وآل أفراسياب.

انتشار الإسلام في الدولة الخانية:

ساعد على انتشار الإسلام في الدولة الخانية عدة عوامل منها:

1 - النشاط العظيم في ميدان الدعوة إلى الإسلام:

قامت مدارس ما وراء النهر وخاصة مدارس بخارى وسمرقند بجهود كبير في الدعوة إلى الإسلام بين الترك في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

وقد اضطلع بهذه الدعوة المسلمون من الأتراك الغربيين، وهم أكثر فهمًا لأوضاع الترك وأعرف بلسانهم. وقام الخراسانيون بالدعوة إلى الإسلام بين الأتراك الشرقيين.

(30) دائرة المعارف الإسلامية «الايكخانية» ج5، ص 400.

ومن المصادر التي ذكرت هذا الاسم:

العيني: تاريخ اليميني، القاهرة، 1286هـ، ج2، ص 128.

هلال الصابي: كتاب التاريخ، ج8، ذيل تجارب الأمم، بتصحيح هـ. ف آمدوز القاهرة 1919م، ج4، ص 372.

البيهقي: تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب، وصادق نشأت، دار النهضة العربية، بيروت 1982، ص 571.

العروضي السمرقندي: المصدر السابق، ص 141.

الراوندي: راحة الصدور وآية السرور، ترجمة إبراهيم الشواربي وعبد النعيم حسنين وفؤاد الصياد، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م، ص 190.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1979، المجلد الثاني عشر، ص 259.

التويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ج26، ص 52.

ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني 1983، المجلد الخامس، ص 19.

وهذا هو السبب في اختيار هذا الاسم كعنوان للبحث.

ومن الجهود التي بُذلت في هذا السبيل جهود الفقيه أبي الحسن محمد بن سفيان الكلثاني النيسابوري (ت 350هـ / 961م) الذي غادر نيسابور⁽³¹⁾ سنة 340هـ / 951م، وأقام ببخارى بعض الوقت ، ثم رحل إلى ديار الأتراك الشرقيين ، والتحق بخدمة كبير خاناتهم، وقام بدور كبير في دعوة الترك إلى الإسلام، وأسلم على يديه عدد كبير من الترك⁽³²⁾.

وقد ذكر هوارث أن الفضل في نشر الإسلام بين الترك يرجع إلى أبي نصر الساماني⁽³³⁾ (ت 350هـ / 961م) الذي خرج في سنة 320هـ / 932م في قافلة تضم 300 تاجر إلى كاشغر وقام بهداية سبعة آلاف كافر إلى الإسلام، وقام بتعليم سبعين منهم ليصبحوا علماء وليكملوا الدعوة بين الترك⁽³⁴⁾.

وقد استطاع أبو نصر الساماني إقناع أحد أمراء الدولة الخانية بالحكمة والموعظة الحسنة مما جعله يسلم عن رضى وقناعة؛ وعندما اعتلى العرش لقب نفسه ساتوق بغراخان (ت 344هـ / 955م) واتخذ لنفسه اسمًا إسلاميًا هو عبد الكريم، وبإسلام هذا الخان أسلم رعاياه مقتدين به ، وفي الوقت نفسه نشبت سلسلة من المعارك بينه وبين

(31) نيسابور: تقع نيسابور في غرب خراسان، وهي أحد أرباع خراسان العظمى.

عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم: الحياة الثقافية والعلمية في نيسابور منذ بداية القرن الثالث حتى أوائل القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة سنة 2000م، ص 2.

معناها: مدينة شابور (نه، في البهلوية بمعنى الأساس أو المدينة)

محمد علاء الدين منصور: المقال السابق، ص 423.

(32) بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، ط الأولى، 1401هـ / 1981م، ص 391.

حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 147.

- Frye, The Golden Age of Persia, London, p 203.

دائرة المعارف الإسلامية (الإيلكخانية) ج5، ص 401.

- Cambridge History of Iran, Vol 4 (The Samanids), p 155.

(33) أبو نصر الساماني: هو نصر بن نوح بن نصر من المحتمل أنه الأمير الساماني الذي فر إلى بلاد الترك في النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. بارتولد: تركستان، ص 391، 392.

(34) Howorth, Loc. Cit, p 469.

خصومه ومنهم عمه المشرك، وانتهى الأمر بقتل عمه، وأحرز الإسلام أول انتصار له في مملكة الخانيين⁽³⁵⁾.

نضيف إلى ذلك جهود الفقيه أبي الحسن سعيد بن حاتم الأسبانيكي، الذي رحل إلى بلاد الترك قبل سنة 380هـ/ 990م وأخذ يدعو إلى الإسلام حتى وفاته هناك⁽³⁶⁾.

وقد شهد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي نشاطاً كبيراً للصوفية الذين نزلوا إلى ميدان التبشير الذي احتكره الفقهاء من قبل، وشهد هذا القرن التوفيق بين التصوف والفقه؛ الأمر الذي همى الصوفية من عدوان الفقهاء، وأطلق يدهم في الميدان الديني، وقد دخل الصوفية ميدان الدعوة إلى الإسلام في بلاد التركستان في عهد السامانيين⁽³⁷⁾ وتغلغل نفوذهم بين الأتراك الغربيين أولاً ثم انطلقوا إلى الأتراك الشرقيين، وحققوا نجاحاً كبيراً في الدعوة إلى الإسلام في آسيا الوسطى⁽³⁸⁾.

2- حملات السامانيين على بلاد الترك:

قام السامانيون بحملات متلاحقة على مناطق البدو المحيطة بهم مثل حملة نوح ابن أسد على أسفيجاب⁽³⁹⁾. وحملة إسماعيل بن أحمد على طراز⁽⁴⁰⁾ سنة 280هـ/ 893م،

(35) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، د. ت، المجلد الرابع، ص 389.

إبراهيم فنج: المرجع السابق، ص 24. بوزورث: المرجع السابق، ص 163. ستانلي لين بول: المرجع السابق، ص 279. محمد عاطف: المرجع السابق، ص 52.

(36) بارتولد: تركستان، ص 392. حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 147.

(37) السامانيون: ينسب السامانيون إلى إحدى أسر الفرس العريقة، وهم ينسبون أنفسهم إلى ملوك الفرس، وكان جد هذه الأسرة هو سامان خداة من أبناء الملك بهرام جويين وأمير قرية سامان من أعمال بلخ. أقاموا دولة لهم في بلاد ما وراء النهر 261: 389هـ/ 874: 999م وضموا إقليم خراسان إلى دولتهم وسيطروا على طبرستان وسجستان في بعض الأحيان. عبد الناصر إبراهيم: المرجع السابق، ص 21: 41.

(38) بارتولد: تركستان، ص 391. حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 147، 148.

- The Cambridge History of Islam, Vol 1 The Central Islamic Lands, p 146

(39) أسفيجاب: اسم بلدة كبيرة من بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان.

ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 1، ص 147.

(40) طراز: مدينة على حد بلاد الترك تجاور أسفيجاب. أبو الفدا: المصدر السابق، ص 497.

واستطاع إسماعيل بن أحمد سنة 292هـ / 904م أن يطرد الغزاة الترك بمعونة المطوعة الذين وفدوا إليه من أرجاء العالم الإسلامي.

وفي النصف الأخير من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وصلت هذه السياسة الهجومية إلى أقصى مدى لها إذ قام السامانيون بحملة كبيرة على بلاساغون⁽⁴¹⁾ ووقع ابن خاقان الترك أسيرًا في أيديهم. وقد فرض السامانيون سلطانهم على مناطق الأتراك الشرقيين بصورة لم تشهدا البلاد من قبل ، وكان السامانيون في حروبهم يطبقون سياسة الجهاد الحق، السيف من ناحية، والتبشير السلمي من ناحية أخرى⁽⁴²⁾ وقد ذكر فراي: «أن دور المبشرين داخل الأراضي التركية كان أعظم من دور العسكريين في تحول الترك إلى الإسلام»⁽⁴³⁾.

3- الهجرة:

تحلى السامانيون عن سياسة بناء الأسوار في وادي سيحون، وكان لهذا التطور أثره على علاقة أتراك التركستان بالإسلام، إذ عبر كثير من سكان ما وراء النهر في جماعات متتابعة إلى مناطق المراعي وإلى داخل المناطق الصحراوية، حيث أنشأوا مدنًا صغيرة في شكل مستعمرات سكانية استقروا بها، وبدأوا منها نشاطهم الاقتصادي، وصاحب هذا النشاط الاقتصادي، نشاط ملحوظ في الدعوة إلى الإسلام، قام بالدور الرئيسي فيه الصوفية، والمدارس التي أنشأها السامانيون لهذه الغاية، مما كان له أثره في تعرف الأتراك على الإسلام والدخول فيه⁽⁴⁴⁾.

(41) بلاساغون: بلدة من ثغور الترك وراء نهر سيحون قريبة من كاشغر.

السمعاني: المصدر السابق، ج1، ص 424.

(42) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 146، 147.

(43) Cambridge History of Iran Vol 4,, (The Samanids) p 155.

(44) بدر عبد الرحمن محمد: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي، مكتبة

الأنجلو المصرية، ط الأولى، 1989، ص 309.

4 - النشاط التجاري :

لعبت التجارة دورًا بارزًا في انتشار الإسلام بين الأتراك الشرقيين نتيجة للعلاقات التجارية الوثيقة التي ربطت بلاد ما وراء النهر ببلاد الأتراك الشرقيين⁽⁴⁵⁾. من المعروف أن الاحتكاك التجاري بين مناطق البدو وأماكن الاستقرار احتكاك طبيعي، فالبدو الترك كانوا ينظرون إلى البلاد المستقرة المزدهرة نظرة إكبار وهي مورد لهم الطبيعي للمنسوجات وغيرها من المصنوعات التي لا تتوافر في البيئات البدوية.

أعجب خانات الترك الشرقيين أول الأمر بأحوال المسلمين وحاصلاتهم وصناعاتهم وأتبعوا ذلك بالإعجاب بدينهم. ويبدو أن التجار المسلمين استغلوا هذه الصلات المتبادلة وقاموا بدور المبشرين، وكان التجار المسلمون من الأتراك يحملون المنتجات الإسلامية إلى اتجاهات متعددة داخل بلاد الأتراك الشرقيين وبلاد الصين ومنغوليا. وكانت هذه المناطق خارج نفوذ السامانيين، ولكن المهاجرة أقاموا بها المراكز الصناعية وكان بعض هؤلاء المهاجرة من خوارزم.

وقد استطاع هؤلاء بذلك أن يرفعوا المستوى الحضاري لدى الأتراك الشرقيين وأثاروا إعجابهم بالعقيدة الإسلامية، ومن ثم الدخول في الإسلام⁽⁴⁶⁾.

كل هذه العوامل ساعدت على انتشار الإسلام في الدولة الخانية بشكل كبير، يؤيد ذلك ما ذكره كل من مسكويه، وابن الأثير في أحداث سنة 349هـ/ 960م «وفيها أسلم من الأتراك نحو مائتي ألف خركاه»⁽⁴⁷⁾ «خيمة»⁽⁴⁸⁾ أي ما يقرب من مليون نسمة دخلوا

(45) بارتولد: تركستان، ص 391.

- Bosworth, Al- Xwarazmi on The peoples of central Asia, p 5

(46) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص 96. حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 148: 150.

(47) مسكويه: تجارب الأمم، اعتمى به هـ. ف آمدروز، شركة التمدن الصناعية، مصر 1333هـ/

1915م، ج2، ص 181. ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد الثامن، ص 191.

وانظر أيضًا بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص 89.

- Barthold, Op. Cit., p 99.

(48) خركاه: الخيمة العظيمة. محمد علي الأنسي: القاموس السابق، ص 237.

الإسلام في عام واحد. ومما لاشك فيه أن إسلام هذا العدد الكبير، قد سبقه إسلام الخانات أنفسهم، وأن الشعب أخذ يدخل في دين ملوكه. ولا بد أن إسلام الخانيين كان قبل عام 344هـ/ 955م وهو العام الذي توفي فيه أول ملوك الدولة الخانية إسلامًا وهو ساتوق بغراخان عبد الكريم، معنى هذا أنه أسلم قبل وفاته أو في أواخر أيامه⁽⁴⁹⁾ واستطاع أن يحمل ألوفاً من البوذيين و النصارى على الدخول في الإسلام⁽⁵⁰⁾ ويؤيد هذه الحقيقة أن كاشغر عاصمة الخانيين، كانت مدينة إسلامية في السنة التي أسلم فيها ساتوق بغراخان⁽⁵¹⁾.

وصفوة القول فإن العالم الإسلامي يدين بالفضل للسامانيين في تحول الأتراك الشرقيين للإسلام⁽⁵²⁾ إذ ما كاد القرن الرابع الهجري ينتصف حتى كان غالبية الأتراك الشرقيين قد أسلموا وأسلم خاناتهم⁽⁵³⁾.

استيلاء الأيلىك خان على بخارى:

ساهم كثير من العوامل في سقوط الدولة السامانية ووقوع بخارى في أيدي الخانيين، من هذه العوامل:

1 - ضعف الأمراء السامانيين الأواخر :

فقد ذكر الگردیزی أنه عندما تولى نوح الثاني ابن منصور (365: 387هـ/ 976: 997م) «لم يكن قد بلغ الحلم بعد .. وأسلم أعماله إلى فائق

(49) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 154.

(50) فامبرى: المرجع السابق، ص 120.

(51) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 154.

(52) The Cambridge History of Islam, Vol 1, The central Islamic lands, p 147.

(53) حافظ أحمد همدى: الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، دار الفكر العربي، 1420هـ/ 2000م، ص 20.

بارتولد: تاريخ إيران درقرون نخستین اسلامی، جلد أول، ص 190.

طه ندا: المقال السابق، ص 110، 114.

الخاصة⁽⁵⁴⁾ وتاش الحاجب⁽⁵⁵⁾»⁽⁵⁶⁾ ونتيجة لصغر سن الأمير حدث نزاع بين الوزير أبي الحسين العتبي ووالي خراسان أبي الحسن بن سيمجور ونتيجة لهذا النزاع اتفق فائق مع أبي الحسن بن سيمجور والي خراسان على التخلص من الوزير ، وأعطى فائق بعض الغلمان مالا ليقتلوه، وقتلوه، واضطربت الأمور في بخارى.

وأثار فائق وأبو الحسن بن سيمجور وابنه أبو علي بن سيمجور، الناس للتخلص من تاش وقبض أبو علي على عمال تاش وسجنوا أبا الحسين المزني الوزير الذي تولى بعد مقتل أبي الحسين العتبي، وأسندوا الوزارة إلى أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد الفارسي ، وازدادت قوة أبي علي وفائق وعزلا الوزير عبد الرحمن الفارسي عن كرسي الوزارة⁽⁵⁷⁾.

وتولى الوزارة عبد الله بن عزيز وهو من الوزراء المتهورين كان شديد العداوة لآل العتبي وأنكر تدابيرهم وصنائعهم، وعزل في بداية وزارته تاش الذي كان صنيعاً للوزير العتبي وربيباً ، وأسند إمارة الجيش وولاية خراسان مرة ثانية إلى أبي الحسن بن سيمجور فهرب تاش وذهب إلى جرجان⁽⁵⁸⁾ إلى علي بن الحسن بن بويه⁽⁵⁹⁾.

(54) فائق الخاص: هو عميد الدولة مولى الأمير نوح بن منصور ، سمي بالخاص لأنه اختص برعاية الأمير نوح، شارك الوزير أبا الحسين العتبي في الوصاية على الأمير نوح بن منصور. المنيني: شرح اليميني المسمى بالفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي ، القاهرة 1286هـ ، ج1 ، ص 96.

(55) تاش : كان أبو العباس تاش من جملة فتیان أبي جعفر العتبي اهتم به الوزير أبو الحسين العتبي لأنه كان من غلمان والده. عمل حاجباً للأمير نوح ثم أسند الأمير نوح إليه قيادة جيوش خراسان ولقبه بحسام الدولة. الكرديزي: زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1982، ص 266.

(56) الكرديزي: المصدر السابق، ص 264.

(57) الكرديزي: المصدر السابق، ص 265: 268.

(58) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان.

ياقوت: المصدر السابق، ج3، ص 42.

(59) كرماني: نسائم الأسحار من لطائف الأخبار در تاريخ وزراء بتصحیح ومقدمه مير جلال الدين

حسين جابخانه دانشگاه تهران، ص 37، 38.

تولى الأمير منصور الثاني ابن نوح (387 : 389هـ / 997 : 999م) وقد ذكر الگردیزی أنه تولى الحكم «ولم يكن قد بلغ بعد» وكان وزيره أبو المظفر محمد بن إبراهيم البرغشي، وتحكم فائق في الوزارة وكانت مقاليد الأمور بيده، فطلب الوزير إعفاءه من منصبه ثم اتفق فائق وبكتوزون قائد جيوش خراسان على خلع الأمير منصور الثاني ابن نوح وسملوا عينيه وولوا أخاه عبد الملك الثاني ابن نوح⁽⁶⁰⁾.

كل هذه الاضطرابات جاءت نتيجة لصغر سن الأمراء السامانيين وعجزهم عن تدبير شئون الدولة، والنزاع بين كبار رجال الدولة من وزراء وقادة وولاة أفقد الدولة هيبتها وزاد من الفتن والثورات داخل الدولة مما عجل بسقوطها؛ وقد ذكرنا كيف خلع فائق وبكتوزون الأمير منصور الثاني ابن نوح وولياً أخاه عبد الملك، معنى ذلك أن تحكم قادة الدولة وصل إلى خلع أمير وتولية آخر، فهل تستطيع دولة بتلك الظروف أن تقاوم أي غزو؟

2- خيانة أبي علي وفائق للأمير الساماني :

عندما توفي أبو الحسن بن سيمجور، أسند نوح بن منصور قيادة الجيوش إلى أبي علي ابن سيمجور ولقبه عماد الدولة⁽⁶¹⁾. وتولى فائق هراة⁽⁶²⁾ وحدث نزاع بين أبي علي وفائق وهزم فائق، وتوجه إلى بخارى دون أن يحصل على إذن من الأمير نوح بن منصور، فأرسل الأمير نوح- إينانج وبكتوزون لصدّه، وهُزم فائق فتوجه إلى بلخ ثم ترمذ⁽⁶³⁾ وأرسل إلى بغراخان وحرّضه على غزو الدولة السامانية⁽⁶⁴⁾.

(60) الگردیزی: المصدر السابق، ص 276 : 278.

(61) الگردیزی: المصدر السابق، ص 270.

(62) هراة: مدينة عظيمة من أمهات مدن خراسان. ياقوت: المصدر السابق، ج8، ص 471.

(63) ترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن على نهر جيحون من جانبه الشرقي متصلة بالصغانيان.

ياقوت: المصدر السابق، ج2، ص 440، 441.

(64) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 98، 99. النويري: المصدر السابق، ج25، ص 362.

ميرخوند: روضة الصفا، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلي، الدار المصرية للكتاب، ط الأولى،

1988م، المجلد الرابع، ص 101.

- Sykes, A History of Afghanistan, p 184.

- The Cambridge History of Iran, Vol 4 (Samanids), p 157.

راسل أبو علي بن سيمجور بغراخان أيضًا يطمعه في بلاد الدولة السامانية ، ويذكر ميرخوند أن السبب في ذلك أن الأمير نوح بن منصور طلب منه أن يترك بعض ممالك خراسان لعماله الخواص فرد عليه : «إن خلقًا كثيرين من المجندين مجتمعون هنا وأموال هذه الولاية لا تفي لمرتباتهم، وربما أضفت ممالك أخرى من الممالك المحروسة»⁽⁶⁵⁾ وخاف عاقبة المنع، فكتب إلى بغراخان يدعوه إلى قصد بخارى ، واستقر الأمر بينهما على أن يكون لبغراخان ما وراء النهر ولأبي علي خراسان⁽⁶⁶⁾.

وهكذا فقد ثبت على فائق وأبي علي تهمة الخيانة والعمل ضد مصلحة الدولة السامانية وتغليب المصلحة الشخصية على المصلحة العامة ، فقد راسل فائق بغراخان عندما فقد هراة وأصبح بدون ولاية. أما أبو علي فقد رغب في تولي الملك والاستقلال عن السامانيين⁽⁶⁷⁾ وقد أيد الكرديزي ذلك عندما ذكر أنه بالغ في الاستهانة بالأمير الساماني، ولقب نفسه: «أمير الأمراء المؤيد من السماء»⁽⁶⁸⁾.

= وقد أيد العتبي هذا الرأي من خلال ما نستشفه من ثنايا سطور كتابه فقد ذكر «ودخل بغراخان بخارى فاستقبله فائق مختصًا به ومنخرطًا في سلكه ملقيا إليه لبن قياده، كأنها كانا على ميعاد، وتلاقيا على سابق صحبة واتحاد. ولما استقرت الدار به قرارها استأذنه فائق في النهوض إلى بلخ لاستضافتها إلى ولايته» وهنا نجد تلميحات كثيرة واتهامات لفائق . العتبي: المصدر السابق، ج1، ص 169.

(65) ميرخوند: المصدر السابق، والمجلد، ص 102.

(66) العتبي: المصدر السابق، ص 163. ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 98.

حمد الله المستوفي قزويني: تاريخ غزیده، بسعي واهتمام إدوارد برون، دار السلطنة لندن، 1328هـ/ 1910م، جلد أول، ص 387.

وانظر أيضًا حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 155، 156. فراي: المرجع السابق، ص 198، 199. - Howorth, Loc. Cit, p 470.

(67) القزويني: المصدر السابق، ص 387.

(68) الكرديزي: المصدر السابق، ص 270.

3- دعوة دهاقين⁽⁶⁹⁾ ما وراء النهر لبغراخان:

أغرى دهاقين ما وراء النهر بغراخان، لأنهم أخذوا على السامانيين اتجاهاتهم الشعبية، وهم الذين استدعوا الأتراك الشرقيين ويسروا مهمتهم وأطلعوهم على عورات البلاد⁽⁷⁰⁾.

ذكر بارتولد: أن هؤلاء الدهاقين كانوا يحتفظون في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بمميزات اقتصادية، لكن لم يكن لهم أهمية سياسية، وقد شوهدت عملة مسكوكة في عهد الخانيين باسم دهقان ايلاق⁽⁷¹⁾ وذلك يدل على أن حقوقهم السياسية قد بعثت⁽⁷²⁾ وقد جنى الدهاقين الفائدة مضاعفة بعد سيطرة الخانيين على البلاد، فقد احتفظوا بحاضرهم القديمة كاشغر، وأصبحت ما وراء النهر تابعة لهم تطلق فيها أيدي الدهاقين⁽⁷³⁾.

ونستخلص من ذلك أيضًا خيانة الدهاقين للدولة السامانية وأن الأحوال كانت في صالح الدولة الخانية.

4- تزيين أبي محمد الواثقي لبغراخان الاستيلاء على ما وراء النهر :

خرج أبو محمد عبد الله بن عثمان الواثقي من أولاد الخليفة الواثق بأهله إلى بخارى راجيًا أن يتولى عمل البريد أو المظالم ببعض الكور، ولم يستطع الحصول على معاش أو عمل يقيم به أوده فذهب إلى بلاد الترك ونال درجة عالية من النفوذ لدى خانهم.

وذكر الثعالبي أنه «ما زال يعمل لطائف حيله ودقائق خدعه، حتى استمكن منه واختص به وزين له ما كان في نفسه من إزالة الدولة السامانية والاستيلاء على المملكة»

(69) دهقان: ودهخان: عمدة - قاضي القرية.

إبراهيم الدسوقي شتا: المعجم الفارسي الكبير، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992، ص 1266، 1267.

(70) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 156.

(71) إيلاق: مدينة من بلاد الشاش المتصلة ببلاد الترك. ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص 232.

(72) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص 101.

(73) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 156.

«وكان الوثاقي سبباً لخرق الهيبة وكشف لشام الحشمة، وإزالة الدولة فعلاً في بخارى وعظم شأنه، وبنى التدبير على أن يبايع بالخلافة ويتقلد التركي أعمال خراسان وما وراء النهر من يده»⁽⁷⁴⁾.

ونستخلص من ذلك أن الوثاقي عندما لم يجد عند السامانيين الود الذي كان يطمح فيه والعمل الذي كان يريه، اتصل بالأتراك وزين لهم الاستيلاء على الدولة السامانية ظناً منه أنه بذلك يرفع من مكانته وأن هذا الأمر سوف يؤدي به إلى الوصول إلى منصب الخلافة.

5- تدهور الأحوال المالية للسامانيين :

كان السامانيون في ضائقة مالية منذ أيام نوح بن نصر، فقد اضطروا إلى زيادة الضرائب على رعاياهم، ووجدنا أنهم استحدثوا ضريبة جديدة أثارت سخطاً شديداً بين الرعية وهي ضريبة التركات، التي تقضي بأنه في حالة وفاة عامل من عمال الديوان فإن جزءاً من أملاكه يذهب إلى بيت المال. ثم صدر قانون ينص على أنه في حالة وفاة مواطن ما لم يخلف أبناءً فإن جانباً من أملاكه يحتجز من أجل بيت المال وذلك بصرف النظر عن وجود ورثة آخرين، ثم طبق على أملاك من تركوا ورثة مباشرين⁽⁷⁵⁾.

وهكذا كان لتدهور الأحوال المالية في بعض الفترات في عهد السامانيين، أثر في ضعف الدولة السامانية واستيلاء الخانيين على بخارى.

6- موقف الفقهاء من غزو الخان لبخارى

حاول الأمير الساماني إثارة الرعية ضد الغزاة لكنه فشل؛ لأن الرعية لم تعد تستمع إلى السامانيين في بخارى⁽⁷⁶⁾ والسبب في ذلك إعلان بعض فقهاء بخارى أن الحرب

(74) الثعالبي: المصدر السابق، ج4، ص 179، 180. وانظر أيضاً بارتولد: تركستان، ص 394، 395.

فراي: المرجع السابق، ص 199.

(75) بارتولد: تركستان، ص 395، 396.

(76) الصابي: المصدر السابق، ص 372.

لا تكون فرضًا إلا إذا أراد الكفار الاستيلاء على بلد إسلامي، وكانوا يقولون من العبث الظن بأن أحوال الرعية ستكون تحت حكم الخانيين وهم مسلمون أسوأ منها تحت حكم السامانيين، ولذلك فلا داعي لأن يريق المسلمون دماءهم⁽⁷⁷⁾. وأفتوا بالألا يحمل السلاح في وجه الغزاة لأنهم مسلمون⁽⁷⁸⁾.

وقد ذكر حسن أحمد محمود أن الفقهاء ظنوا «أن في تغيير الحكم فائدة لهم» وأنهم نالوا من الامتيازات في عهد الخانيين أضعاف ما حصلوا عليه في عهد السامانيين⁽⁷⁹⁾.

في حين ذكر بارتولد أن الفقهاء كانوا «ينتظرون ظهور الفاتحين المسلمين السنيين في الشرق ليجهزوا على حكم البويهيين الشيعة الذين استبدوا بكل الأمور في بغداد»⁽⁸⁰⁾.

ولذلك لم يجد السامانيون أي مساندة من الرعية بعد أن تأثر الرعية بفتوى الفقهاء بعدم حمل السلاح في وجه الخانيين المسلمين مما سهل على الخانيين دخول بخارى. وهكذا فقد ساهمت كل هذه العوامل في استيلاء الخانيين على بخارى بسهولة.

ففي سنة 382هـ / 992م سار شهاب الدولة وظهر الدعوة هارون بن سليمان إليك المعروف ببغراخان إلى بلاد الدولة السامانية⁽⁸¹⁾ فأرسل إليه الأمير نوح جيشًا كبيرًا بقيادة أنج الحاجب، فهزم أنج وأسر وجماعة من قواده وزادت هذه الهزيمة من ضعف السامانيين وطمع بغراخان في بلادهم⁽⁸²⁾. واضطر الأمير نوح إلى استدعاء فائق وعينه حاكمًا على سمرقند وأعطاه قيادة الجيش ليتصدي لبغراخان⁽⁸³⁾ غير أن فائق

(77) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص 100.

- Siddiqi, Caliphate and Kingship in Medieval Persia, Philadelphia, p 61.

(78) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 156.

(79) حسن أحمد محمود: المرجع السابق والصفحة.

(80) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص 102.

(81) العتبي: المصدر السابق، ص 163.

البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية، مكتبة المتنبّي، د. ت، ص 134.

ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 98. النويري: المصدر السابق والجزء، ص 361.

(82) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 99. النويري: المصدر السابق والجزء، ص 362.

(83) ميرخوند: المصدر السابق، والمجلد، ص 102. وانظر أيضا: فراي: المرجع السابق، ص 199.

اتفق مع بغراخان سرًا، ورجع من سمرقند منهزمًا ، وجاء بغراخان في أعقابه إلى بخارى⁽⁸⁴⁾.

وقد ذكر العتبي: «ودخل بغراخان بخارى فاستقبله فائق مختصًا ومنخرطًا في سلكه... وملقيًا إليه لين قياد كأنها كانا على ميعاد. وتلاقيا على سابق صحبة واتحاد»⁽⁸⁵⁾. وقد ذكر ابن الأثير والنويري أنه عندما سار بغراخان نحو بخارى «فلقية فائق، واختص به، وصار في جملة ونازلوا بخارى»⁽⁸⁶⁾ مما يؤيد أنه كان هناك اتفاق مسبق بين فائق وبغراخان وأنه أطمعه في الاستيلاء على بلاد الدولة السامانية.

واضطر الأمير نوح إلى ترك الحكم وهرب إلى أمل الشط على نهر جيحون وأقام بها، ولحق به أصحابه، فاجتمع عنده جمع كثير⁽⁸⁷⁾. وكتب نوح رسالة إلى أبي علي ابن سيمجور وفيها: «أقدم فقد أتى الخان» ولم يفكر أبو علي في هذه الرسالة، وطلب نوح منه جيشًا، فلم يرسل أيضًا⁽⁸⁸⁾ مما يؤيد الاتفاق المسبق بين أبي علي وبغراخان وطمع أبي علي في الاستقلال بحكم خراسان، لذلك رفض أن يمد يد المساعدة للأمير الساماني والتصدي للقوات التركية المغيرة على الدولة السامانية.

وقد نزل بغراخان في قصر السامانيين على شاطئ نهر موليان⁽⁸⁹⁾ وذكر البيهقي أن بغراخان عندما دخل بخارى استولى على «الخزائن العظيمة والذخائر النفيسة التي كانت للسامانيين»⁽⁹⁰⁾.

(84) القزويني: المصدر السابق، والمجلد، ص 387. ميرخوند: المصدر السابق والمجلد، ص 102، Howorth, Loc. Cit., p 470.

(85) العتبي: المصدر السابق، ص 169.

(86) ابن الأثير: المصدر السابق والمجلد، ص 99. النويري: المصدر السابق والجزء، ص 362، 363.

(87) ابن الأثير: المصدر السابق والمجلد، ص 99. ابن خلدون: المصدر السابق والمجلد، ص 355.

وانظر أيضًا: بارتولد: تاريخ إيران، ص 191. محمد عاطف: المرجع السابق، ص 55.

- Frye: Op. Cit., p 205.

(88) الگردیزی: المصدر السابق، ص 271. ابن خلدون: المصدر السابق والمجلد، ص 355.

(89) الگردیزی: المصدر السابق، ص 271.

(90) البيهقي: المصدر السابق، ص 214.

وذكر العتبي : «لما استقرت الدار به قرارها استأذنه فاتق في النهوض إلى بلخ لاستضافتها إلى ولايته... وإثارة أموالها لخزائنه. فأذن له وسار إلى ترمذ وبعث بعثاً إلى بلخ فاحتاط عليها ونصب بها من يجبي الأموال ويدبر الأعمال»⁽⁹¹⁾.

وهكذا فقد اعتقد بغراخان أن خراسان أصبحت تابعة له أيضاً بدليل موافقته على أن يذهب فاتق إلى بلخ ليجبي مالها ويخطب للأمير في هذه الولاية.

وقد ذكر القزويني أن أبا علي «لم يحصل على مراده، ولم يظفر بأكثر من لقب قائد الجيش»⁽⁹²⁾ أي إن بغراخان كان يعتبر أبا علي تابعا له وبالتالي إقليم خراسان أيضاً من ضمن ممتلكاته.

وقد ذكر ابن الأثير أن بغراخان «كان ديناً، خيراً، عادلاً، حسن السيرة، محباً للعلماء وأهل الدين، مكرماً لهم، وكان يجب أن يكتب عنه : مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم»⁽⁹³⁾.

ومرض بغراخان بالبواسير⁽⁹⁴⁾، وعزم على العودة إلى كاشغر، وأعطى الولاية لعبد العزيز بن نوح بن نصر وأعطاه الخلع الجميلة وقال له : «لقد أخذنا هذه الولاية من نوح وسلمناها لك»⁽⁹⁵⁾.

(91) العتبي: المصدر السابق، ص 169.

(92) القزويني: المصدر السابق، ص 388.

(93) ابن الأثير: المصدر السابق والمجلد، ص 100 .

(94) الكرديزي: المصدر السابق، ص 271 البيهقي: المصدر السابق، ص 214، Howorth, Loc. Cit., p 470 .

وقد ذكر أنه «مست بغراخان علة استوبل بها المقام ببخارى».

العتبي: المصدر السابق، ص 175.

وذكر أنه عندما نزل بخارى «استوخمها فلحقه مرض ثقيل».

ابن الأثير: المصدر السابق والمجلد، ص 100. النويري: المصدر السابق والجزء، ص 363.

وذكر أن بغراخان «تأذى من هواء بخارى وأصيب بمرض عضال لا علاج له إلا باستنشاق هواء

تركستان». ميرخوند: المصدر السابق والمجلد، ص 103.

. Howorth, Loc. Cit., p 470

(95) الكرديزي: المصدر السابق، ص 271،

وذكر البيهقي أن بغراخان قال لعبد العزيز: «سمعت أنهم اغتصبوا ولايتك، وها أنذا أعيدها إليك لما أعهدك فيك من الشجاعة والعدالة وحسن السيرة، فتلكن على ثقة بأني سأكون عوناً لك كلما دعت الحاجة إلى العون والمساعدة»⁽⁹⁶⁾.

وهكذا فقد أعطى بغراخان عبد العزيز بن نوح بن نصر إمارة الدولة السامانية، ولكن إذا كان هدفه نيلاً كما ذكرت المصادر لماذا لم يدعم حكم عبد العزيز ويقف بجواره ويسانده ببعض القوات؟ وإلا فإننا نستطيع أن نستنتج أنه أراد بذلك زيادة الفرقة والنزاع بين أبناء الأسرة السامانية حتى يتمكن من العودة ثانية والاستيلاء على ممتلكات هذه الدولة.

ترك بغراخان بخارى فثار أهلها بساقه عسكره فقتلوا منهم وغنموا أموالهم واشترك الأتراك الغزية معهم في قتل وسلب ونهب جيش بغراخان⁽⁹⁷⁾ وتوفي بغراخان في الطريق في مكان يدعى قجقار باشى⁽⁹⁸⁾.

لما سمع الأمير نوح بخروج بغراخان من بخارى، قدم إليها مع أصحابه وعاد إلى عاصمة ملكه وفرح أهلها به وتباشروا بقدومه⁽⁹⁹⁾ وقد ذكر ميرخوند: «وأسرع البخاريون جميعاً لاستقباله وسعدوا كسعادة الصائم برؤية الهلال والظمان بالشراب الزلال»⁽¹⁰⁰⁾.

وهكذا فقد أحسن البخاريون استقبال الأمير نوح، لكننا نلمس تناقضاً في تصرفاتهم فعندما طلب منهم المحاربة مع السامانيين، لم يجاروا وعندما دخل الخانيون بخارى لم نسمع عن أي ثورات قاموا بها، إلا عندما خرج الخانيون من بخارى، فبدأت عمليات

(96) البيهقي: المصدر السابق، ص 214.

(97) ابن الأثير: المصدر السابق والمجلد، ص 100.

التويري: المصدر السابق والجزء، ص 363. ميرخوند: المصدر السابق والمجلد، ص 103.

(98) الگردیزی: المصدر السابق، ص 271.

وقد ذكرت مترجمة الكتاب هامش (2) أن هذا المكان في التركستان يعرف بقاشقار.

(99) ابن الأثير: المصدر السابق والمجلد، ص 100. ابن خلدون: المصدر السابق والمجلد، ص 355.

(100) ميرخوند: المصدر السابق والمجلد، ص 103.

السلب والنهب والقتل لجنود بغراخان لذلك من المحتمل أنهم تركوا أمر الدفاع عن الدولة للحكام والجيوش الذين يستفيدون من هذه الولايات وأنهم مع من يحكم لأنهم لا قبل لهم بالحرب وماذا يجنون من ورائها؟

وعندما عاد الأمير نوح إلى بخارى قبض على عمه عبد العزيز واعتقله وملاً عينيه بالكافور حتى أعماه⁽¹⁰¹⁾ وبدأ يعيد سيطرته على الأمور ببخارى .

وجد فائق نفسه بلا حليف إلا أن هذا لم يمنعه من القيام بمحاولة الاستيلاء على بخارى، لكنه هزم وانسحب إلى مرو⁽¹⁰²⁾ ومن هناك عرض على عدوه السابق أبي علي أن يتعاونوا معاً ويبدو أن قوات فائق كانت ما تزال في وضع لا يستهان به لأن أبا علي قبل عرضه عن طيب خاطر⁽¹⁰³⁾.

في ذلك الوقت كتب الأمير نوح إلى سبكتكين⁽¹⁰⁴⁾ يشكو من أبي علي ابن سيمجور وأرسل سبكتكين رسائل إلى أبي علي ليرده إلى الطاعة. وأصر أبو علي على العصيان وعدم الطاعة. فحاربه الأمير نوح وسبكتكين في هراة سنة 384هـ / 994م وهُزم

(101) البيهقي: المصدر السابق، ص 214، 215.

(102) مرو الشاهجان: مرو العظمى أشهر مدن خراسان.

ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج8، ص253.

. Frye: Op. Cit., p 205

(103) بارتولد: تركستان، ص 397 ،

(104) سبكتكين: غلام وصهر البتكين، سحب مولاه إلى غزنة، وقدم له ولحفائذه خدمات جليلة، أعلن أميراً على غزنة سنة 366هـ / 976م، حكم غزنة وگرديز وبروان وكابل وبست وحقق انتصارات باهرة في أفغانستان والهند.

الگرديزي: المصدر السابق، ص 271. وانظر أيضًا بارتولد: تركستان، ص 398.

عبد الله رازی: تاريخ كامل إيران، جا بخانه اقبال، تهران، 1372هـ ص 190.

أبو علي وهزم مرة أخرى في قرية اندرخ من أعمال طوس⁽¹⁰⁵⁾ سنة 385هـ/ 995م⁽¹⁰⁶⁾ فذهب إلى الري⁽¹⁰⁷⁾.

وأرسل أبو علي وفائق سفارة إلى الأمير نوح للاعتذار ولاسترضائه، فرد فائق وقبل عذر أبي علي وأمر أبا علي بالذهاب إلى جرجانية⁽¹⁰⁸⁾ ليحكمها. وطلب منه فائق أن يرافقه إلى أيلك خان فرفض أبو علي، وتوجه إلى جرجانية⁽¹⁰⁹⁾.

ودعاه الأمير نوح فذهب إلى بخارى، وحينما دخل أبو علي قصر نوح قبضوا عليه مع ثمانية عشر من الإخوة والقواد. سنة (386هـ/ 996م) وحينما علم سبكتكين بخبر أبي علي طلبه من الأمير نوح فأرسله إليه، فسجن في قلعة گرديز⁽¹¹⁰⁾ الحصينة وقتل سنة 389هـ/ 999م⁽¹¹¹⁾.

لجأ فائق الخاص إلى نصر خان وحرص الخان ضد الأمير نوح، واتفقا على أن يهاجما وراء النهر، وصمم نصر خان بتحريض فائق على التوجه إلى هذه الناحية واضطرب الأمير نوح عند سماع الخبر، ولم يجد بُدًّا من طلب المساعدة من الأمير سبكتكين، ثم تم الصلح بين سبكتكين ونصر خان، وتقرر فيه أن تكون ولاية سمرقند لفاق⁽¹¹²⁾.

(105) طوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ.

ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج6، ص 272.

(106) الگرديزي: المصدر السابق، ص 271: 274، البيهقي: المصدر السابق، ص 215.

- Sykes, History of Persia, London, 1921, p 22.

(107) الرّي: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وهي قسبة بلاد الجبال بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخًا.

ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص 457.

(108) الجرجانية: هي كركانج وهي قسبة بلاد خوارزم ومدينتها العظمى.

ياقوت: المصدر السابق، ج7، ص 131.

(109) ميرخوند: المصدر السابق والمجلد، ص 107.

(110) گرديز: ولاية بين غزنة والهند. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج7، ص 130.

(111) الگرديزي: المصدر السابق، ص 275.

(112) القزويني: المصدر السابق، ص 390. ميرخوند: المصدر السابق والمجلد، ص 108، 109.

وانظر أيضًا فراي: المرجع السابق، ص 202.

وفي سنة 387هـ/ 997م توفي الأمير نوح وتولى بعده ابنه منصور وكان شاباً صغير السن ف وقعت خلافات بينه وبين مستشاريه فقام بعضهم بدعوة نصر خان للتدخل في شئون بخارى فقدم الخان إلى سمرقند وأرسل حليفه فائق إلى بخارى، فترك منصور بخارى وعبر جيحون، ودخل فائق المدينة وأبدى أنه جاء لنصرة ومعاونة منصور ليرعى حقوق أسلافه وأرسل أكابر بخارى ومشائخها إلى منصور ليأمنوه من جانب فائق وعاد منصور إلى بخارى لكن مقاليد الأمور كانت بيد فائق. وولي بكتوزون إمرة الجيش بخراسان⁽¹¹³⁾.

وفي سنة 389هـ/ 999 قبض بكتوزون وفائق على الأمير منصور وسملا عينيه ووليا أخاه الصغير عبد الملك بن نوح⁽¹¹⁴⁾ وملك محمود الغزنوي⁽¹¹⁵⁾ خراسان ولم يبق في أيدي السامانيين سوى بلاد ما وراء النهر. واجتمع الأمير عبد الملك وفائق وبكتوزون وكثير من الأمراء وشرعوا في إعداد الجيش لاسترداد خراسان وتوفي فائق في شعبان سنة 389هـ/ 999م فضغت نفوسهم بموته⁽¹¹⁶⁾.

في ذلك الوقت تحرك أرسلان أيلك خان وهو أبو نصر أحمد بن علي الملقب شمس الدولة، صوب بخارى، وأظهر لعبد الملك المودة والموالة والحمية له فظنوا صدقه فلم يجترسوا منه⁽¹¹⁷⁾.

(113) ميرخوند: المصدر السابق والمجلد، ص 109. وانظر أيضًا فراي: المرجع السابق، ص 202، 203. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ط العاشرة 1982م، ج3، ص 87.

(114) لمزيد من التفاصيل راجع الكرديزي: المصدر السابق، ص 277، 278. وانظر أيضًا فامبري: المرجع السابق، ص 122، 123.

(115) محمود الغزنوي: هو محمود بن سبكتكين استولى على الحكم في غزنة من أخيه إسماعيل عقب وفاة والده واستولى على خراسان 389هـ/ 999م وامتد نفوذه أحياناً إلى بلاد ما وراء النهر. قام بالعديد من الفتوحات في بلاد الهند وتوفي 421هـ/ 1030م. الكرديزي: المصدر السابق، ص 281: 314. ابن خلكان: وفيات الأعيان، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت، المجلد الخامس، ص 176، 177.

(116) ابن الأثير: المصدر السابق والمجلد، ص 148، 149. النويري: المصدر السابق والجزء، ص 368، 369. أبو القدا: المختصر في أخبار البشر، دار المعارف، د.ت، ج2، ص 141.

ابن خلدون: المصدر السابق والمجلد، ص 358.

(117) ابن الأثير: المصدر السابق والمجلد، ص 149. أبو القدا: المختصر في أخبار البشر، ج2، ص 141. وانظر أيضًا بارتولد: تاريخ إيران، ص 195.

وقد ذكر العتبي: «انحدر أيلك خان إلى باب بخارى يظهر لعبد الملك وسائر أجناده وأنجاده موالاة خداع واحتيال وممالة استدراج واغتيال وهم يظنون استظهاراً على ما عراهم واحتياطاً لما يشد عراهم مغرورين عن واجب الاستبصار والاحتراس»⁽¹¹⁸⁾.

عندما أعلن أبو نصر أحمد بن علي أنه جاء لمساعدة عبد الملك، خرج لاستقباله بكتوزون وبنالتكين الفائقين وسائر قواد عبد الملك، فلما حضروا عنده قبض عليهم. وعندما سمع عبد الملك ذلك كان في قلة من الجند، فاخفى⁽¹¹⁹⁾. ودخل الأيلك خان بخارى دون مقاومة في العاشر من ذي القعدة 389هـ/ 23 أكتوبر 999م ونزل دار الإمارة، وبث العيون على عبد الملك فظفر به وأودعه السجن في أوزكند⁽¹²⁰⁾ فمات به وحبس معه أخاه أبا الحارث منصور الأمير المخلوع وإخوته الآخرين أبا إبراهيم إسماعيل، وأبا يعقوب وأعمامه أبا زكريا وأبا سليمان وأبا صالح الغازي وغيرهم من بني سامان⁽¹²¹⁾ واستولى على أموالهم. ويسقوط بخارى سقط آخر معقل للدولة السامانية في بلاد ما وراء النهر⁽¹²²⁾ ودخلت بخارى تحت سيطرة الدولة الخانية.

وصفوة القول فقد تضافرت عوامل كثيرة، ساهمت في سقوط الدولة السامانية في ما وراء النهر وساعدت الدولة الخانية في سهولة الاستيلاء على هذه البلاد ومنها بخارى عاصمة الدولة السامانية. وأصبح نهر جيحون فاصلاً بين أملاك الخانيين في الشمال وأملاك الغزنويين في الجنوب⁽¹²³⁾ وأعلن الخانيون أنهم موالي أمير المؤمنين وحكام بلاد ما

(118) العتبي: المصدر السابق، ج1، القسم الثاني، ص 319.

(119) العتبي: المصدر السابق، ج1، ص 319. البيهقي: المصدر السابق، ص 709.

جوزجاني: المصدر السابق، ص 216.

النويري: المصدر السابق والجزء، ص 369 ، Howorth, Loc. Cit., p 477 .

(120) أوزكند: بلد ما وراء النهر من نواحي فرغانة. ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص 223.

(121) ابن الأثير: المصدر السابق والمجلد، ص 149. ابن خلدون: المصدر السابق والمجلد، ص 358.

القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922، ج4، ص 447.

وانظر أيضًا: بارتولد: تاريخ إيران، ص 196.

محمد حسن عبد الكريم: خراسان في العصر الغزنوي، مؤسسة حمادة، أربد، الأردن، 1997، ص 40، 41.

(122) الگردیزی: المصدر السابق، ص 279.

(123) بوزورث: المرجع السابق، ص 163.

وراء النهر ومن ثم بدأت أسرتهم تسك النقود باسم الخليفة القادر بالله وعليها اسم الأيلىك خان نصر الذي لقب ناصر الحق. وأرسل السلطان محمود سفيرين إلى أوزكند للاعتراف بالدولة الخانية وحدودها فيما وراء النهر، وقد استقبل الأيلىك نصر هذين السفيرين بالترحاب وأرسل معها هدايا ثمينة إلى السلطان محمود⁽¹²⁴⁾.

في سنة 390 هـ / 1000 م هرب أبو إبراهيم إسماعيل بن نوح الساماني (الملقب بالمنتصر) من حبسه في ملابس جارية كانت تخدمه وتوارى في منزل عجوز من عجائز بخارى ثم فر إلى خوارزم، وأخذ يستعد للانتقام من أيلىك خان وجمع جيشًا كبيرًا وهجم أرسلان بالو حاجبه على بخارى وأسر جعفر تگين وسبعة عشر من أمرائه وأرسلهم إلى جرجانية وذهب أرسلان بالو إلى سمرقند وحارب والي سمرقند تكين خان وهزمه واستولى على غنائم كثيرة. وعاد المنتصر إلى بخارى وسر الأهالي لقدمه. وعندما علم أيلىك خان بهذا الأمر جمع جيشًا كبيرًا وتوجه إلى المنتصر الذي عبر جيحون إلى آمل⁽¹²⁵⁾. وانضم إلى جيش المنتصر - الغز⁽¹²⁶⁾ فقوي بهم وطمع في الاستيلاء على ما وراء النهر وأعد أيلىك خان جيشًا كبيرًا وتقابلا على حدود سمرقند وهجم الغز على أيلىك خان ليلاً وأسروا جماعة من قواده وقتلوه سنة 393 هـ / 1003 م.

وعاد الغز إلى بلادهم ولم يسلموا الأسرى لمنتصر وقالوا إنهم ندموا لمقاتلتهم أيلىك خان وسيطلقون الأسرى اعتذارًا له. فترك المنتصر جيش الغز واختار سبعمئة من خواصه وعبر جيحون إلى آمل ثم عبر جيحون وحارب والي بخارى ودار قتال شديد بين الطرفين وهرب منتصر وتوجه والي بخارى إلى سغد⁽¹²⁷⁾ وأغار عليه منتصر⁽¹²⁸⁾ وعلم قائد

(124) محمد حسن عبد الكريم: المرجع السابق، ص 43، 44.

(125) العتبي: المصدر السابق، ص 320. ميرخوند: المصدر السابق والمجلد، ص 112.

وانظر أيضًا بارتولد: تركستان، ص 407، 477، p. Howorth, Loc. Cit.

(126) الغز: مخفف التركيب التركي طوقوز أوغوز التي خففت أيضًا التغزغز. أوغوز: اسم قبيلة تركية والمعنى الشعب التسع للأوغوز. محمد علاء الدين منصور: المقال السابق، ص 419.

(127) السغد: ناحية بين بخارى وسمرقند وقصبها سمرقند. ياقوت: المصدر السابق، ج5، ص 47، 48.

(128) ميرخوند: المصدر السابق والمجلد، ص 114، 115.

جيوش سمرقند بانتصار منتصر، فالتحق به بثلاثة آلاف رجل، وأرسل أعيان سمرقند ثلاثمائة غلام تركي ومالاً وفيراً إليه، والتحق به جمع غفير، وعندما علم أيلك خان بانتظام أحوال منتصر، توجه لمحاربتة على حدود سمرقند، وهُزم الخان سنة 394هـ / 1004م⁽¹²⁹⁾.

وعندما عاد أيلك خان إلى ولايته، وجمع الجيش المتفرق وأسرع إلى منتصر، كان جيش الغز قد تفرق، وعادوا إلى أوطانهم وانشغلوا بتقسيم الغنائم، وعندما دار القتال بينهما غدر أبو الحسين طاق وكان معه خمسة آلاف رجل بمنتصر والتحق بأيلك خان وهُزم منتصر على شاطئ النهر وعبر جيحون.

وذهب بعض الخونة إلى سليمان وصافي حاجبي أيلك خان وأخبروهما بمكان المنتصر وسوء حاله. فالتفوا حول خيمته، وفر منتصر وقبضوا على إخوته وأرسلوهم إلى أوزكند⁽¹³⁰⁾. وذهب منتصر إلى حلة ابن بهيج في صحراء مرو فحرض حاكمها ماه روي جماعة من أجلاف العرب على قتله 395هـ / 1005م⁽¹³¹⁾.

وهكذا كان لتفرق الغز وانشغالهم بتقسيم الغنائم وخيانة أبي الحسين طاق أثر في هزيمة أبي إبراهيم المنتصر، وغدر ماه روي وحرض على قتله وسقطت الدولة السامانية عام 395هـ / 1005م بعد عدة محاولات فاشلة لاستعادة ممتلكات الدولة⁽¹³²⁾.

بخارى تحت سيطرة الدولة الخانية :

لم يقيم الخانيون مع استيلائهم على بلاد ما وراء النهر في العواصم القديمة لتلك البلاد ولا في بخارى عاصمة السامانيين ولا في سمرقند، ولكن اتخذوا من أوزكند وهي إحدى مدن الحدود القليلة الأهمية الواقعة إلى الشرق من فرغانة، مركزاً لهم. من الواضح أنهم

(129) الكرديزي: المصدر السابق، ص 283، 284. النوري: المصدر السابق والجزء، ص 372.

ميرخوند: المصدر السابق والمجلد، ص 115.

(130) ميرخوند: المصدر السابق والمجلد، ص 115، 116.

(131) الكرديزي: المصدر السابق، ص 284. وانظر أيضاً فامبري: المرجع السابق، ص 124.

كانوا يعتبرون هذه المدينة المتاخمة لحدود بلادهم القديمة أكثر أمناً وأقل خطراً من المدن الداخلية في بلاد ما وراء النهر⁽¹³³⁾.

في مستهل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي برز فرعان متميزان في الأسرة الخانية أولهما يقوم على من انحدر من صلب علي حفيد ساتوق بغراخان «العلوية» ومن هؤلاء خرج الخانات العظام من الخانية الغربية بعد الانشقاق الذي حدث داخل الأسرة. أما الفرع الثاني فيقوم على من انحدروا من صلب هارون «حسن» بغراخان «الحسنية» الحفيد الآخر لساتوق بغراخان، ومن هؤلاء خرج الخانات العظام من الخانية الشرقية. وهذا النظام كان يحكم بمقتضاه أعضاء الأسرة على اختلافهم في وقت واحد أجزاء متباينة من أملاك الخانيين. أدى بالضرورة إلى الخلافات والمنافسات .

كان الفرع الغربي يضم ما وراء النهر وفرغانة الغربية حتى خجنده وأوزكند وأولاً ثم سمرقند بوصفها قصبته وكان الفرع الشرقي يضم أقاليم الخانية الأصلية في سميريجه وفرغانة الشرقية وكاشغر وبلاساغون القصبه، وكاشغر بوصفها مركزاً ثقافياً له شأنه⁽¹³⁴⁾.

أكسب الخانيون حكمهم طابعه الشرعي، فقد اتخذوا لقب والي أمير المؤمنين ونقش اللقب على سكتهم، و ضربوا العملة باسم الخليفة القادر ودعوا له على منابرهم واتخذ أيلك خان نصر لقب ناصر الحق⁽¹³⁵⁾.

وقد ذكر ابن الأثير: «أن سلطان سمرقند وبخارى، يلقب خان خانان، يعني سلطان السلاطين وهو من أولاد الخانية، عريق النسب في الإسلام والملك»⁽¹³⁶⁾.

(133) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص 101.

(134) دائرة المعارف الإسلامية مادة «الايلكخانية» المجلد الخامس، ص 401، 402.

(135) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 158.

(136) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 259.

وكان حاكم الجناح الغربي لمملكة الخانيين، شقيق الخان وهو نصر بن علي الذي يشتهر بأرسلان ايلك، وقد حكم في أوزكند، وعين من جانبه نائباً في بخارى يدعى جعفرًا (جغرى) جغراتكين⁽¹³⁷⁾.

وقد وجدت بعض العملات التي ضربت في بخارى من (405: 407هـ / 1014: 1016م) عليها اسم سيف الدولة شغرا وهي تخص جعفرًا أو جغراتكين⁽¹³⁸⁾.

وقد حكم نصر بن علي بخارى وبلاد ما وراء النهر حتى وفاته (403هـ / 1013م) وبعد وفاته واصل عمله أخوه منصور بن علي الذي استطاع أن يصل إلى منصب الخاقان الأعظم 406هـ / 1015م واتخذ لقب أرسلان خان.⁽¹³⁹⁾ وفي ذلك التاريخ أيضًا ذكر اسم حسين بن منصور في حكم بخارى، من المحتمل أنه ابن منصور بن علي وكان تحت وصاية عمه محمود بن علي.

(137) وذكر العتبي: المصدر السابق، ج2، ص79. وابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص188.

وإبن خلدون: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص391.

وذكر هوارث: Howorth, Loc. Cit, p 481 :

«أن جغرا تكين أخو أيلك خان نصر بن علي وهذا هو الأصوب، في حين ذكر زامباور: المرجع السابق، ص312 أن جعفر تكين: هو أبو علي الحسين بن بغراخان الثاني.

(138) Howorth, Loc. Cit, pp 481, 482.

(139) فراي: المرجع السابق، ص224: 226. بوزورث: المرجع السابق، ص161.

في حين ذكر بارتولد: تركستان، ص422، أن محمد بن علي أخوا الأيلك نصر وطغان خان، كان نائباً في حياة أخيه على ما وراء النهر إلى مدينة طراز وبعد وفاة أخيه، اتخذ لقب أرسلان خان وحكم حتى عام 415هـ / 1024م. وقد ذكر بوزورث: المرجع السابق ص161 أن منصور بن علي اتخذ لقب أرسلان خان أيضًا لذلك من المحتمل أن منصور هو محمد لأنه حكم نفس الفترة واتخذ نفس اللقب.

وقد توصل زامباور: المرجع السابق، ص312 إلى صيغة توفيقية حيث ذكر الاسم الملك المنصور محمد بن علي أي أنه ذكر المنصور على أنه لقب.

وقد ذكر ابن الأثير: المصدر السابق المجلد التاسع، ص298 «لما مات طغان خان ملك بعده أخوه أبو المظفر أرسلان خان ولقبه شرف الدولة».

وظهر أمير آخر على الساحة السياسية في بخارى يدعى علي تگین وهو «علي بن حسن (هارون) ابن سليمان المعروف ببغراخان»⁽¹⁴⁰⁾.

كان علي تگین في حبس أرسلان خان، واستطاع الهرب، واستولى على بخارى وعقد حلفاً مع أرسلان بن سلجوق⁽¹⁴¹⁾ فزحف إليه أيلك أخو أرسلان خان، ولكنه هُزم فظل علي تگین في بخارى⁽¹⁴²⁾ واستطاع أن يثبت سلطانه في مدينتي بخارى وسمرقند الغنيتين⁽¹⁴³⁾ ووجد اسمه على عملات ضربت في بخارى من (411 : 415هـ / 1021 : 1025م) بها اسم بهاء الدولة ياكان تگین، وهي تخص فيما يبدو علي تگین⁽¹⁴⁴⁾.

وقد ذكر الگردیزی أنه «ارتكب كثيرًا من المظالم، وجعل الناس في ألم وجور منه، وألحق الأذى بالرعية وأهل الصلاح»⁽¹⁴⁵⁾ وفي سنة 415هـ / 1025م ذهب كثير من

(140) فراي: المرجع السابق، ص 226.

ذكر بارتولد: تركستان، ص 422، 423 أنه كان هناك أخ لعلي تگین يحمل لقب طغان خان ويحكم منطقة يدي صو من المحتمل أنه كان طغان الثاني هذا وعلي تگین ابنين لطغان الأول، الذي ربما حمل بوصفه مسلمًا اسم حسن.

وذكر بوزورث: دائرة المعارف الإسلامية مادة (الايلكخانية) المجلد الخامس، ص 402 «أن علي تگین أخو يوسف قدر خان بن هارون بغراخان صاحب ختن وكاشغر والقصبه أوزكند». وذكر هوارث: Howorth, Loc. Cit, p 483 .

أنه ابن أخي يوسف قدر خان بن هارون بغراخان بدليل تحالف قدر خان مع محمود الغزنوي ضد علي تگین... وهذا الرأي هو الأرجح.

(141) أرسلان بن سلجوق: يطلق عليه أيضا اسم إسرائيل وهو أكبر أبناء سلجوق وأكثرهم علمًا وأرجحهم عقلاً، مات في حبس السلطان محمود الغزنوي.

الراوندي: المصدر السابق، ص 145. النويري: المصدر السابق 26 ص 270.

(142) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 475.

وانظر أيضًا بارتولد: تركستان، ص 420.

(143) دائرة المعارف الإسلامية: مادة (الايلكخانية) المجلد الخامس، ص 402.

(144) فراي: المرجع السابق، ص 227، 228.

(145) الگردیزی: المصدر السابق، ص 301.

الهروي: المسلمون في الهند، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م، ج1، ص 32.

المتظلمين من علي تگين إلى السلطان محمود الغزنوي في بلخ فصمم السلطان محمود على أن يخلص المسلمين من هذا البلاء⁽¹⁴⁶⁾.

وفي ذات الوقت صار قدر خان هو الخاقان الأعظم، ولم يعترف به علي تگين، وأخوه أحمد بن حسن، وطالب أحمد بن حسن بهذا المنصب، واستولى على بلاساغون وأوزكند فلجأ قدر خان إلى محمود الغزنوي⁽¹⁴⁷⁾ لذلك قام السلطان محمود الغزنوي بعبور نهر جيحون إلى بلاد ما وراء النهر، وعندما سمع علي تگين بعبور السلطان محمود الغزنوي هرب إلى الصحراء ووقعت زوجته وبناته وخزائنه في يد السلطان محمود⁽¹⁴⁸⁾ ثم تراجع السلطان محمود إلى غزنة، وعاد علي تگين إلى ولايته⁽¹⁴⁹⁾.

وهكذا فقد عبر السلطان محمود الغزنوي نهر جيحون إلى بلاد ما وراء النهر لمحاربة علي تگين استجابة للمتظلمين من علي تگين ورغبة في مساعدة قدر خان ضد علي تگين وهزم قدر خان، أحمد شقيق علي تگين، ودخل أحمد في طاعته، ورفض علي تگين.

قام علي تگين بتغيير الجزء التركي من اسمه إلى أرسلان أيلك وهذا دليل على زيادة قدره وقد حكم في ذلك الوقت بخارى وسمرقند وبعض بلاد ما وراء النهر⁽¹⁵⁰⁾.

عندما توفي محمود الغزنوي 421هـ / 1030م فكر علي تگين في غزو خراسان، وعندما استقر السلطان مسعود بن محمود على العرش أمر التوتناش⁽¹⁵¹⁾ بغزو بلاد ما وراء النهر فاستولى على بخارى 423هـ / 1032م وأجبر علي تگين على التراجع إلى سمرقند ثم تداعى الطرفان إلى الصلح⁽¹⁵²⁾.

(146) الگردیزی: المصدر السابق، ص 301. الهروي: المصدر السابق، والجزء، ص 32.

(147) فراي: المرجع السابق، ص 228، 483، Howorth, Loc. Cit, p 483.

(148) الگردیزی: المصدر السابق، ص 301: 306. وانظر أيضًا فراي: المرجع السابق، ص 228.

(149) Howorth, Loc. Cit, p 484.

(150) فراي: المرجع السابق، ص 228.

(151) ألتونناش: كبير حجاب السلطان محمود، عينه السلطان محمود على خوارزم وأعطاه خوارزم وگرگانج، وظل حاكمًا على خوارزم حتى آخر عهده وكان في طاعة وخدمة الأمير محمود وأسرته. الگردیزی: المصدر السابق، ص 194.

(152) البيهقي: المصدر السابق، ص 263.

الغالب على الظن أن حملة مسعود (التونناش) دفعت علي تكين إلى التقارب مع أهل بيته والاعتراف بسيادتهم عليه. ففي بخارى وسمرقند بدأت النقود تسك باسم أرسلان خان وبغراخان ووجد علي تكين لنفسه بعد عامين حليفًا جديدًا في شخص حاكم خوارزم⁽¹⁵³⁾ لكنه توفي سنة 425هـ / 1034م⁽¹⁵⁴⁾.

يذكر الوزير الغزنوي أحمد بن حسن الميمندي أن علي تكين «قد مضى عليه ثلاثون عامًا هناك». يقصد أنه كان واليًا على بلاد ما وراء النهر لمدة ثلاثين عامًا⁽¹⁵⁵⁾.

يذكر هوارث أنه قد حكم بخارى حوالي 31 عامًا قبل سنة 423هـ / 1032م⁽¹⁵⁶⁾ والحقيقة أن هذا الرأي قد جانبه الصواب لأن كلاً من البيهقي وبارتولد وهوارث لم يوضح لنا بداية حكم علي تكين لبلاد ما وراء النهر، ثانيًا سبق أن تحدثنا عن بدايات ظهور علي تكين في بداية العقد الثاني من القرن الخامس. وقد ذكر ابن الأثير أنه كان في حبس أرسلان خان ثم هرب واستولى على بخارى مع العلم أن أرسلان خان تولى ما وراء النهر من قبل أخيه نصر بن علي ثم وصل إلى منصب الخاقان الأعظم سنة 406هـ / 1015م بعد وفاة طغان خان الخاقان الأعظم، وبالتالي لا تصل فترة حكم علي تكين إلى الفترة المشار إليها. إلا إذا كان المقصود أنه تولى ولاية صغيرة في بداية حكم نصر بن علي ثم بدأ نفوذه يزداد حتى قبض عليه أرسلان خان ثم هرب واستولى على بخارى. وهذا الأمر لا يستند إلى دليل.

بعد وفاة علي تكين اعتلى ابنه الأكبر العرش. وقد أعطى شرف الدولة⁽¹⁵⁷⁾ صاحب بلاساغون وبلاد الترك، ابن علي تكين بخارى وسمرقند⁽¹⁵⁸⁾.

(153) بارتولد: تركستان، ص 440.

(154) دائرة المعارف الإسلامية مادة (الايلكخانية) المجلد الخامس، ص 402.

(155) البيهقي: المصدر السابق، ص 358، وانظر أيضًا بارتولد: تركستان، ص 423.

(156) Howorth, Loc. Cit, p 485.

(157) شرف الدولة: أبو شجاع أرسلان خان بن يوسف قدر خان.

ستانلي لين بول: المرجع السابق، ص 281.

(158) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 520، 521.

وعلى الأرجح أن اسمه يوسف فقد نقش اسم يوسف بن علي على سكة هذا العصر بعد أعوام من وفاة علي تگين والأرجح أن هذا الاسم قد حمله ابن علي تگين⁽¹⁵⁹⁾.

وقد أرسل السلطان مسعود الغزنوي يعزي في وفاة علي تگين ويهنئ الأيلىك الشاب وقد خاطبه «بالأمير الفاضل الولد» في الوقت الذي شرع فيه يوسف علي تگين في تنفيذ اتفاقه مع هارون⁽¹⁶⁰⁾ بأن يغير مع إخوته على صغانيان⁽¹⁶¹⁾ وترمز وقتل هارون ورجع أولاد علي تگين إلى بلاد ما وراء النهر⁽¹⁶²⁾. ولم يستطع أولاد علي تگين أن يحتفظوا طويلاً بإمارة أبيهم فيما وراء النهر.

ففي سنة 430هـ / 1038م نجح بوري تگين (أبو إسحق إبراهيم بن الأيلىك نصر) في الهرب من السجن، الذي زجه فيه ابن علي تگين وذهب إلى أخيه محمد عين الدولة بأوزكند. وفي سنة 431هـ / 1039م تمكن بوري تگين من هزيمة أولاد علي تگين وأشرف على انتزاع ما وراء النهر منهم⁽¹⁶³⁾.

في سنة 433هـ / 1042م غزا الأخوان محمد عين الدولة وبورتگين بلاد ما وراء النهر ونادى محمد بنفسه خاناً أكبر وأصبح بوري تگين الخان المشارك.

وأصبح إبراهيم طمغاج خان بن الأيلىك نصر (البوري تگين) الخاقان الأعظم حوالي 444: 460هـ / 1052: 1068م وكان مثلاً للحاكم العادل التقي⁽¹⁶⁴⁾ وقد حمل ألقاب عز الأمة، وكهف المسلمين، ومؤيد العدل⁽¹⁶⁵⁾، وعماد الدولة⁽¹⁶⁶⁾. وجعل إبراهيم طمغاج خان،

(159) بارتولد: تركستان، ص 423.

(160) هارون: ابن خوارزمشاه ألتونناش. البيهقي: المصدر السابق، ص 599.

(161) صغانيان: ولاية عظيمة بها وراء النهر متصلة الأعمال بترمز.

ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 190.

(162) البيهقي: المصدر السابق، ص 496، 497. وانظر أيضاً بارتولد: تركستان، ص 442، 443.

(163) بارتولد: تركستان، ص 445، 447.

(164) دائرة المعارف الإسلامية (مادة الأيلىكخانية)، المجلد الخامس، ص 402، 403.

(165) بارتولد: تركستان، ص 462.

(166) النويري: المصدر السابق، ج26، ص 55.

الملك في ولده شمس الملك نصر بن إبراهيم فملك من 460:472هـ / 1068:1080م⁽¹⁶⁷⁾ وتولى بعد شمس الملك أخوه خضر خان من 472:473هـ / 1080:1081م ثم تولى أحمد خان بن خضر خان 473:488هـ / 1081:1095م.

كان أحمد خان قبيح الصورة والفعل، كثير المصادرات، فنفر الرعية منه وكتبوا السلطان ملكشاه⁽¹⁶⁸⁾، واستغاثوا به وطلبوا منه القدوم ليملك بلادهم فعبّر ما وراء النهر في سنة 482هـ / 1089م وملك بخارى، وما جاورها، ثم سار إلى سمرقند فملكها، وهرب أحمد خان، ثم قبض عليه السلطان. ثم أعاده إلى ولايته. بعد فشل الوالي الذي عينه في السيطرة على الأمور في بلاد ما وراء النهر⁽¹⁶⁹⁾.

(167) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص300، التويري المصدر السابق، ج26، ص55

وانظر أيضًا بوزورث: المرجع السابق، ص161.

(168) ملكشاه: جلال الدولة ملكشاه بن السلطان عضد الدولة ألب أرسلان محمد بن جفري بك داود ابن ميكائيل بن سلجوق، وهو الثالث من ملوك الدولة السلجوقية. حكم من 465:485هـ / 1073:1092م.

عماد الدين الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الفتح بن علي البنداري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط الثالثة، 1980م، ص30.

الراوندي: المصدر السابق، ص143. التويري: المصدر السابق، ج26، ص303.

(169) التويري: المصدر السابق، ج26، ص56، 328.

ابن خلدون: المصدر السابق، المجلد الرابع، ص393، 394.

وانظر أيضًا: بارتولد: تركستان، ص465، 466.

عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1990م، ص252.

محمد عبد العظيم أبو النصر: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، 2003م، ص93.

تولى بعد أحمد خان ابن عمه مسعود خان وفي سنة 490هـ/ 1097م خضعت البلاد لبركياروق⁽¹⁷⁰⁾ الذي عين على التوالي سليمان تگين ، فمحمود تگين ، فهارون تگين حكامًا للبلاد⁽¹⁷¹⁾.

وفي سنة 497هـ/ 1102م ولي السلطان سنجر⁽¹⁷²⁾ محمد تگين بن سليمان بن داود بن بغراخان ولقب أرسلان خان وأمه أخت السلطان سنجر، وبلغ السلطان سوء سيرته مع الرعية وإهماله أوامر السلطان فسار إليه سنة 507هـ/ 1113م فاعتذر محمد وهدأت الأمور، وظل في الحكم حتى عام 524هـ/ 1130م⁽¹⁷³⁾.

وعين السلطان سنجر، أبا المعالي حسين تگين طغفاج وهو ابن عبد المؤمن ابن علي، أي أنه حفيد علي تگين⁽¹⁷⁴⁾.

(170) بركياروق: السلطان ركن الدنيا والدين أبو المظفر بركياروق بن ملكشاه، برهان أمير المؤمنين ويمين أمير المؤمنين وهو الرابع من ملوك الدولة السلجوقية. حكم 486: 498هـ/ 1093: 1105م. العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص 81، الراوندي: المصدر السابق، ص 143. النويري: المصدر السابق، ج 26، ص 335.

(171) بارتولد: تركستان، ص 467.

(172) سنجر: السلطان المعظم، معز الدين عماد آل سلجوق أبو الحارث سنجر شاه برهان أمير المؤمنين ابن السلطان جلال الدولة ملكشاه. قيل له سنجر لأنه ولد بمدينة سنجار. عماد الدين الأصفهاني: المصدر السابق، ص 120، الراوندي: المصدر السابق، ص 143. النويري: المصدر السابق، ج 26، ص 372، 373.

(173) ابن خلدون: المصدر السابق، المجلد الرابع، ص 394، 395.

وانظر أيضًا: بارتولد: تركستان، ص 467.

وذكر هوارث أنه ابن طغان تگين، Howorth, Loc. Cit, p 492.

وذكر بوزورث في دائرة المعارف الإسلامية «مادة الأيلكخانية» المجلد الخامس، ص 404 أنه ابن أخي السلطان سنجر وزوج ابنته.

ورأي ابن خلدون أصوب ، والدليل اسمه الذي ذكره ابن خلدون واختلف فيه هوارث وبوزورث.

(174) Howorth, Loc. Cit, p 496.

وذكر ابن خلدون: المصدر السابق، المجلد الرابع، ص 396. أنه أبو المعالي الحسن بن علي المعروف

بحسين تگين كان من أعيان بيت الخانية.

ثم عين السلطان سنجر، محمود خان بن أرسلان خان خانان أكبر من سنة 526: 536هـ / 1131: 1141م وهرب محمود إلى خراسان تاريخًا الكورخان القرا خطاي⁽¹⁷⁵⁾

يستولي على ما وراء النهر. وأقام الكورخان أمراء خانية شتى بوصفهم من صنائعه. ولو أن السلطان الحقيقي في بخارى في ذلك الوقت كان بين أيدي شيوخ السنة أو صدور أسرة برهان، الذين كانوا يتعاونون تعاونًا وثيقًا مع القرا خطاي الوثنيين المتسامحين⁽¹⁷⁶⁾.

وصفوة القول فقد كان الخاقان الأعظم يتولى حكم بلاد ما وراء النهر، ومقره في أوزكند ثم تحول عنه إلى سمرقند بعد ذلك، وكان يعين نائبًا عنه في بخارى، يطلق عليه أحيانًا الخان المشارك وهو في الغالب من الأسرة الحاكمة.

اتبع الخانيون نظام اللامركزية في الإدارة وفتتوا السلطة فيما وراء النهر⁽¹⁷⁷⁾ واعتمدوا على الجهاز الإداري الفارسي لإدارة مدتهم وضواحيهم، ولم يتعدوا كثيرًا عن حياتهم الصحراوية، فعلى سبيل المثال كان علي تگين يعيش في أحد المعسكرات القريبة، من بخارى وهو معسكر (خرليخ أردو) وكان الأمراء الخانيون الآخرون يتجنبون المدن أيضًا، ويعتبرون الحياة الصحراوية أفضل وأنسب لهم من حياة المدن، لذلك قاموا بتعيين نواب لهم لإدارة المدن⁽¹⁷⁸⁾.

وقد نال شمس الملك بن طمغاج خان إبراهيم الشهرة كحاكم عادل شأنه شأن أبيه، وظل يعيش في البادية كبقية الرحل، فيما عدا فصل الشتاء وكان يمضيه مع جيشه قرب

(175) القرا خطاي: أقاموا دولة في شمال الصين، وتمت تأثير الصراع القبلي طردتهم أسرة كين ولجأوا إلى تركستان واستولوا على بلاد ما وراء النهر بعد هزيمة السلطان سنجر 536هـ / 1141م ولقب ملكهم كورخان أي خان الخانات أي ملك الملوك، وقد عين الكورخان واليًا من قبله على بخارى.

عصام الدين عبد الرؤف الفقي: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، دار الفكر العربي، 1999، ص 99.

(176) ابن خلدون: المصدر السابق، المجلد الرابع، ص 396، 397.

وانظر أيضًا بوزورث: المرجع السابق، ص 162، زامباور: المرجع السابق، ص 313.

ستانلي لين بول: المرجع السابق، ص 282.

دائرة المعارف الإسلامية مادة «الايلكخانية» المجلد الخامس، ص 404.

(177) دائرة المعارف الإسلامية مادة «الايلكخانية» المجلد الخامس، ص 407.

(178) فراي: المرجع السابق، ص 240، 241.

بخارى مشرطاً على جنده ألا يغادروا خيامهم وألا يمدوا أيديهم بسوء نحو الأهالي⁽¹⁷⁹⁾.
 مما يؤيد اتباعهم لنظام اللامركزية في الإدارة وتمسكهم بالحياة الصحراوية .

وقد اتجهت عناية طمغاج خان إبراهيم منذ البداية إلى تثبيت قواعد النظام والأمن بأراضيه فكان أدنى اعتداء على أملاك الغير يلقي جزاءً صارماً. ولم يكتفِ الخان بحماية مصالح الشعب الكادح ضد السرقة والاعتداء على الممتلكات فحسب، بل وصد جشع التجار الذين كانوا يريدون رفع الأسعار وكان يقول: «لا يجوز أن أبيع رعيتي»⁽¹⁸⁰⁾.

وقد عرف عن طمغاج خان إبراهيم التدين وأنه «لا يأخذ مالاً حتى يستفتي العلماء»⁽¹⁸¹⁾. أي أنه كان لا يأخذ أي مال أو يفرض أي ضرائب جديدة حتى يأخذ رأي العلماء.

وقد خففت الضرائب في كل مكان في عهد الدولة الخانية ومن الراجح أن الدهاقين، وهم أصحاب الأراضي من أهل البلاد، جنوا فائدة كبيرة عندما سيطر الخانيون على بخارى وما وراء النهر، واستردوا جزءاً كبيراً من سلطاتهم، وأطلقت أيديهم في بخارى وما وراء النهر⁽¹⁸²⁾.

(179) بارتولد: تركستان، ص 463.

(180) بارتولد: المرجع السابق، ص 459، 460، 461.

وذكر بارتولد أنه ذات مرة شكى إليه القصابون من أن أسعار اللحم ضئيلة بدرجة لا يربحون معها شيئاً والتمسوا منه رفعها عارضين في مقابل ذلك دفع ألف دينار إلى الخزينة فقبل الخان وأحضر القصابون المال إلى الخزينة. ورفعوا أسعار اللحم، ومنع السلطان الناس من شراء اللحم مهدداً إياهم بعقوبة الموت. فتعرض القصابون لخسائر فادحة، وفي كل حي من أحياء المدينة اشترك خمسة أو ستة من الرجال في شراء رأس من الضأن فاقسموا لحمه بينهم وانتهى الأمر بأن اضطر القصابون مرة أخرى إلى دفع مبلغ من المال لإرجاع الأسعار إلى ما كانت عليه.

(181) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 300. النويري: المصدر السابق، ج 26، ص 55.

(182) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 156، 158، 159.

دائرة المعارف الإسلامية مادة «الايلكخانية» المجلد الخامس، ص 407.

وكان الخانيون يتمتعون بحب الناس، وعملوا على الاتصال الدائم بعامة الشعب والتيسير عليهم، وعدم فرض القوة⁽¹⁸³⁾ وهذا لا يمنع من وجود بعض الفترات تعرض فيها الرعية للظلم والجور كما سبق أن تحدثنا.

وبالرغم من أسلوب حياتهم الرعوي فإن الخانيين قد اضطلعوا بواجبهم كملوك، الأمر الذي يتضح من تزيينهم المدن بالعمارات العالية الجميلة وإقامة الرباطات على الطرق الكبرى.

وقام شمس الملك بجهود كبير في إقامة الكثير من العمائر العامة، وقد بنى خانيين مشهورين لنزول القوافل وسمى كلاً منهما «رباط ملك» وبنى المسجد الجامع ببخارى وشيّد قصر شمس آباد⁽¹⁸⁴⁾ وأنشأ جامع قرية اسكجكت⁽¹⁸⁵⁾ والعديد من دور الضيافة والحمامات والمدارس وغيرها من المنشآت العامة التي ظلت قائمة بعده لعدة قرون⁽¹⁸⁶⁾.

واشتهر أرسلان خان أكثر من غيره من الخانيين بعمارته العديدة منها إعادة بناء قلعة بخارى وترميم أسوار المدينة وفي سنة 513 هـ / 1119 م قام بتشييد موضع لصلاة العيد مكان أطلال مدينة شمس آباد وفي سنة 515 هـ / 1121 م قام ببناء مسجد بخارى الجامع. وقام بتشييد قصرين أصبح أحدهما مدرسة فيما بعد، ونقل منارة المسجد الجامع القريب من القلعة إلى الشهرستان وأعيد ترميمها بصورة أفضل من ذي قبل ثم قرر إعادة بناء المنارة بأكملها على نفقته 521 هـ / 1127 م⁽¹⁸⁷⁾، وقام بإنشاء الحمامات وكذلك معظم مباني مدينة بيكند الواقعة في نهاية الحد الجنوبي لبخارى⁽¹⁸⁸⁾.

(183) Bosworth, OP. Cit., XXIII, p 12.

(184) بارتولد: تركستان، ص 463، 464. دائرة المعارف الإسلامية (الايلكخانية) المجلد الخامس، ص 405.

(185) فراي: المرجع السابق، ص 240.

(186) فامبري: المرجع السابق، ص 140.

(187) بارتولد: تركستان، ص 468. فراي: المرجع السابق، ص 246.

(188) فراي: المرجع السابق، ص 246.

اعتنق الخانات المذهب الحنفي في غيرة وحماسة وأصبحت بخارى وبلاد ما وراء النهر معقلاً لهذا المذهب وكان الخانات يشجعون حلقات العلماء ورجال الأدب في بلاطهم⁽¹⁸⁹⁾. وكان أبو شجاع أرسلان خان ولقبه شرف الدولة ديناً مكرماً للعلماء وأهل الدين، فقصدوه من كل ناحية فوصلهم وأحسن إليهم.⁽¹⁹⁰⁾ وأعطى شمس الملك جزءاً من أملاكه لعلماء الدين حتى ينفقوا على أنفسهم من إيراداتها⁽¹⁹¹⁾.

لم يثق الخانيون في علماء السنة لأنهم وضعوا أنفسهم في مكانة كبيرة. واعتمد الخانيون على الكتاب والإداريين بدلاً من العلماء، وبناء على هذا فقد دخلوا في صراع ونزاع دائم معهم⁽¹⁹²⁾.

وظاهرة العداوة بين السلطة الزمنية ورجال الدين يكتنفها بعض الغموض لأن المصادر لا تلقي الضوء على أسباب هذا العداوة. فالخانات الترك الأوائل غلبت عليهم روح التدين الشديد واهتموا بالزهاد وأهل التصوف أكثر من اهتمامهم بالفقهاء من أهل المذاهب⁽¹⁹³⁾.

وقد ظلت الخصومة بين الحكومة ورجال الدين مستعرة في عهد شمس الملك طمغاج خان إبراهيم بن نصر، ففي بداية حكمه في سنة 461هـ/ 1069م أعدم الإمام أبا إبراهيم بن إسماعيل بن أبي نصر الصفار ببخارى. وكان إماماً فاضلاً لا يخاف في الله لومة لائم فقتله الخاقان صبراً⁽¹⁹⁴⁾ لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر⁽¹⁹⁵⁾. وقد ذكر بوزورث أن سبب قتله «أنه حاول التدخل في شؤون الحكم وتوجيه الخان»⁽¹⁹⁶⁾ إذن فإن شمس الملك لم يقتل الإمام أبا إبراهيم بن إسماعيل بدون ذنب، من المحتمل أنه أراد فرض رأيه بأسلوب لا يليق مما أغضب الخان وجعله يصبر على قتله؛ لأنه من المعروف عن شمس

(189) دائرة المعارف الإسلامية (الايلكخانية) المجلد الخامس، ص 406.

(190) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 299.

(191) فراي: المرجع السابق، ص 240.

(192) فراي: المرجع السابق، ص 241.

(193) بارتولد: تركستان، ص 458.

(194) قتله صبراً: حبسه حتى مات. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، 1990م، ص 359.

(195) بارتولد: تركستان، ص 464.

الملك طمغاج خان إبراهيم بن نصر أنه كان متدينا لدرجة أنه كان «لا يأخذ مالاً حتى يستفتي العلماء»⁽¹⁹⁷⁾ وقد بلغ من توقيره لرجال الدين أنه لما قال له الخطيب أبو شجاع أحد سلاله العلويين: «إنك لا تصلح للملك» أغلق الخان أبواب قصره وعزم على التنازل عن العرش، ولكن الأهالي نجحوا في إقناعه بأن الخطيب أخطأ وأن ألفاظه تتعارض مع ما يبذله الخان من جهد من أجل رعيته⁽¹⁹⁸⁾.

وفي عهد أحمد خان بن خضر خان أدى العداة بين الخان ورجال الدين إلى تدخل السلاجقة، ففي أول عهد أحمد أعدم الوزير أبو أحمد نصر بن سليمان، قاضي القضاة في عهد خضر خان. وكان هذا الحاكم ظالماً فالتمس الفقيه الشافعي أبو طاهر بن أيلك العون من ملكشاه باسم المظلومين، فاستولى ملكشاه على بخارى سنة 482هـ / 1089م وعزل أحمد وبعد فشل الوالي الذي عينه على بخارى أعاد أحمد ولم يدم حكمه طويلاً فقد قتل في بداية سنة 488هـ / 1095م نتيجة نزاعه مع رجال الدين فعملوا على خلعه وإعدامه بتهمة اعتناق مذهب الإسماعيلية⁽¹⁹⁹⁾.

وكان أرسلان خان يرتبط بعلاقة شخصية مع الزاهد الحسن بن يوسف البخاري، الذي حمل لقب «نمدبوش» «صاحب الصوف» وقد عاش الشيخ ثلاثين عاماً في زاويته ببخارى يقتات على الخُضْر فقط، وكان أرسلان خان يدعو «نمدبوش» «أباه» وقد استطاع بمعاونة هذا الزاهد أن يطهر بخارى من أهل الإباحة والبدع. وقد قتل الشيخ سنة 509هـ / 1116م من سهم رماه به أحد أهل الإباحة.

وبالرغم من هذا فإن النزاع مع رجال الدين لم يتوقف طيلة مدة حكمه هو أيضاً، فقد كان للإمام الصفار الذي قتل في عهد شمس الملك ابن اسمه أبو إسحق إبراهيم بن

(197) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 300.

(198) بارتولد: تركستان، ص 459.

(199) بارتولد: المرجع السابق، ص 465.

دائرة المعارف الإسلامية (الايلكخانية) المجلد الخامس، ص 404.

وقد ذكر ابن خلدون: المصدر السابق، المجلد الرابع، ص 394 أنه عندما أسره ملكشاه وكل به جماعة من الديلم فلحق عنهم معتقدات الإباحة والزندقة فلما ولي أظهر الانحلال فاعتزم جنده على قتله. فقبضوا عليه وقتلوه بالزندقة.

إسماعيل، خرج كآبئه في اجتناب المداهنة وقمع السلاطين وقهر الملوك، حتى أخذه السلطان سنجر معه إلى مرو، وأسكنه فيها حتى يعم الهدوء في بخارى⁽²⁰⁰⁾.

وقد ذكر بوزورث «أن الهيئة الدينية كانت تكره أي امتداد لسلطان الحكومة المركزي وكانت مستعدة لأن تتحد مع الجيش على العرش»⁽²⁰¹⁾.

وصفوة القول أن هذا الصراع بين رجال الدين والحكومة لم يكن بالصورة التي نتحدث عنها المصادر والمراجع التاريخية فإننا لم نلمس سوى حالتين فقط من الصراع مع الإمام أبي إبراهيم بن إسماعيل الذي حاول التدخل في شئون الحكم وابنه إسحق الذي أراد أن يثير الشعب ضد أرسلان خان فأخذه السلطان سنجر إلى مرو.

أما حالة أحمد خان بن نصر خان فإن الرعية والعلماء لم يرضوا عن حكمه لأنه كان ظالماً واتهم بالزندقة واعتناق مذهب الإسماعيلية لذلك تخلصوا منه. ولم نجد أمثلة غير ذلك في حين نجد اهتمام الخانات بالعلماء والإنفاق عليهم وإقامة حلقات العلم وإنشاء المدارس والعطف على الصوفية والاسترشاد بأرائهم فقد استطاع أرسلان خان أن يطهر بخارى من أهل البدع والإباحة بمساعدة الزاهد الحسن بن يوسف البخاري.

اهتم الخانيون بالأدب الإسلامي الذي انتعش تحت حكمهم، وقد تعتمد الخانيون تقليد السامانيين في رعايتهم للغتين من لغات الأدب، اللغة التركية الخاصة بهم، واللغة الفارسية التي يتحدث بها عامة الناس في بخارى⁽²⁰²⁾.

ذكر النظامي العروزي السمرقندي ثلاثة عشر شاعراً مجدوا «آل خاقان» كما يسميهم⁽²⁰³⁾ وهو يمتدح بخاصة خضر خان إبراهيم ويقول إنه راع جواد كريم وظهر في عهده عمعق البخاري أمير الشعراء⁽²⁰⁴⁾ وقد مدح عمعق خضر خان وزوجته كما مدح

(200) بارتولد: تركستان، ص 469.

(201) دائرة المعارف الإسلامية، «الايلكخانية»، المجلد الخامس، ص 408.

(202) Frye, Islamic Iran and Central Asia (7th- 12th centuries) London 1979, XXIII, pp 69,73, 74.

(203) العروزي السمرقندي: المصدر السابق، ص 36.

(204) دائرة المعارف الإسلامية، «الايلكخانية» المجلد الخامس، ص 406.

الشاعر رشيدي السمرقندي وأقر بفضلله حتى ارتفع شأن رشيدي وأصبح سيداً للشعراء⁽²⁰⁵⁾.

احتفظ الخانيون بتركيتهم القوية، وكان عصرهم عصرًا له شأنه العظيم في خلق وعي ثقافي تركي وخلق أول أدب إسلامي تركي، ورغم ذلك كانت الثقافة الفارسية لها الصدارة في بخارى وبلاد ما وراء النهر⁽²⁰⁶⁾.

وصفوة القول فقد اهتم الخانيون ببخارى ونظم الإدارة بها وتخفيف الضرائب على الرعية والتقرب منهم، وزيادة سلطات الدهاقين واهتموا بإقامة العديد من المنشآت العامة في بخارى وحرصوا على وجود علاقة متوازنة مع العلماء في كثير من الأحيان وشجعوا حلقات العلم وأغدقوا الأموال على العلماء وأقاموا المدارس، وازدهر الأدب التركي في عهدهم إلى جانب الأدب الفارسي وكانوا أكثر تحضرًا من السلاجقة⁽²⁰⁷⁾ لأنهم وقعوا تحت تأثير الحضارة الصينية⁽²⁰⁸⁾.

(205) عفاف السيد زيدان: مدينة سمرقند ودورها في الحضارة الإسلامية، المؤتمر الدولي للدراسات الإسلامية عند غير العرب. رابطة العالم الإسلامي - جامعة الأزهر، 20: 22 مايو 1997م، ص 42.

(206) دائرة المعارف الإسلامية، «الايلكخانية»، المجلد الخامس، ص 406.

(207) السلاجقة: أو السلجوقية نسبة إلى سلجق. بعض المؤرخين أثبتوا في اسمه وأوا، فقالوا سلجوق وهذا خطأ. والده يقاق وقيل دقاق بمعنى القوس الحديد، اعتنق الإسلام وكان مقدم طائفته من الأتراك، وعندما توفي يقاق ظهر ابنه سلجق فقربه ملك الترك، ثم ترك ملك الترك ونزح وقومه من تركستان إلى ما وراء النهر فكانت منازلهم في الشتاء في نور بخارى وفي الصيف في سُغد سمرقند وكان لرئيسهم سلجوق أربعة أبناء هم إسرائيل (أرسلان بيغو) وميكائيل ويونس، وموسى بيغو.

العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص 7، الراوندي: المصدر السابق، ص 145، 146. التنويري: المصدر السابق، ج26، ص 269، 270. وانظر أيضًا:

عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، دار الفكر العربي، 1987، ص 93.

(208) بارتولد: تركستان، ص 459.

العلاقات الخارجية لبخارى في عهد الدولة الخانية:

1 - علاقة الخانيين بالغزنويين :

عندما استقر محمود الغزنوي في خراسان، وملك أيلك خان نصر بن علي بخارى وما وراء النهر راسله محمود ووافقهُ⁽²⁰⁹⁾ ودخل أيلك خان في صداقة مع محمود الغزنوي ليحافظ على البلاد التي أصبحت من نصيبه بعد تقسيم أملاك السامانيين، وجعل نهر جيحون هو الخط الحدودي الفاصل بين الدولتين⁽²¹⁰⁾.

وقد ذكر العتبي أن أيلك خان راسل «السلطان يمين الدولة مهنتاً له بإذخر الله له من خالصة الملك وصافية الملك وظاهر إليه من ظاهر العز وباطنه.... وتردد السفراء بينهما.... وتؤكد أسباب المودة والوصال وتحمي حريم الثقة في الجانبين وترفع ستر الحشمة في ذات البين وتؤدي رتبة الاختلاط إلى الامتزاج، فتصير النفوس واحدة والسواعد على وجوه مصالحتها متساعدة»⁽²¹¹⁾.

ولتوثيق الصداقة بين السلطان محمود الغزنوي وأيلك خان، أرسل السلطان محمود، أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي⁽²¹²⁾ إمام أهل الحديث وطغنا نجق والي سرخس⁽²¹³⁾ رسولين إلى أيلك خان لخطبة كريمته، وأرسل السلطان محمود معها كثيراً

(209) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 188. النويري: المصدر السابق، ج26، ص 41.
(210) نصرت الله حكيم: دوره تاريخ براي سال چهارم دبير ستانها، كتاب فروشي وچاپخانه دانش، چاپ سوم، ص 51.

(211) العتبي: المصدر السابق، ج2، ص 27، 28.

(212) أبو الطيب بن سليمان الصعلوكي: كان والده من علماء وفضلاء العالم الإسلامي في عصره. وصار أبو الطيب إمام الحديث ومن كبار فقهاء الشافعية في عصره. أرسله السلطان محمود في سفارة إلى خان التركستان ليطلب ابنته ونجح في مهمته وأحضرها إلى غزنة.
استاد خليلي: سلطنت غزنويان، انجمن تاريخ أفغانستان، ص 307.
سيد علي مؤيد ثابتي: تاريخ نيشابور، سلسلة انتشارات انجمن آثار ملي 125، درسال 2535 شاهنشاهی، ص 134.

(213) سرخس: مدينة قديمة من نواحي خراسان، كبيرة واسعة، وهي بين نيسابور ومرو.

ياقوت: المصدر السابق، ج5، ص 37.

من الهدايا. وقبل أيلك خان نصر بن علي هذا الزواج وأحسن استقبال الرسولين، وأقاما بأوزكند إلى أن فرغ أمر الزفاف وعادا بالعروس مصحوبة بالعديد من الهدايا للسلطان محمود⁽²¹⁴⁾.

وقد ذكر العتبي أنه نتيجة لهذه المصاهرة «تحدت الحال بين السلطان وبين أيلك خان اتحادًا اشترك فيه المراتع والنعم واستهم فيه الصنائع والخدم»⁽²¹⁵⁾.

وظلت حالة الوثام والصدقة والمودة قائمة بين السلطان محمود وأيلك خان حتى سنة 396هـ / 1006م⁽²¹⁶⁾ فقد ذكر كثير من المؤرخين أن أيلك خان نقض عهد الصداقة مع محمود وأظهر أطماعه في بلدان الدولة الغزنوية⁽²¹⁷⁾. وذكر العتبي أنه «دبت عقارب الفساد في ذات البين واضطراب الحبل الساكن واشتعل الجمر الهامد»⁽²¹⁸⁾ وذكر بعض المؤرخين أن السعاة أفسدوا ما بينهما⁽²¹⁹⁾ وقيل إن خلف بن أحمد والي سجستان⁽²²⁰⁾ عصى السلطان محمود، وخوفًا من بطشه التجأ إلى أيلك خان⁽²²¹⁾ لذلك من المحتمل أنه بذور الشقاق بينهما وشجعه على الاستيلاء على خراسان.

(214) العتبي: المصدر السابق، ج2، ص 28، 30، 31.

خواندمير: حبيب السير، أذ انتشارات كتابخانه خيام، جابخانه حيدري 1333 شمسي، جلد دوم، ص 377. وانظر أيضًا بارتولد: تركستان، ص 411. عباس إقبال: المرجع السابق، ص 174.

(215) العتبي: المصدر السابق، ج2، ص 31.

(216) ميرخوند: المصدر السابق، والمجلد، ص 137.

(217) خواندمير: المصدر السابق، والمجلد، ص 377.

وانظر أيضًا بارتولد: تركستان، ص 411. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص 105.

نصرت الله حكيم: المرجع السابق، ص 52.

(218) العتبي: المصدر السابق، ج2، ص 76.

(219) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 188. النويري: المصدر السابق، ج26، ص 41.

(220) سجستان: إقليم عظيم يقع بين خراسان وبين مكران والسند وبين كرمان.

أبو الفدا: تقويم البلدان، ص 340.

(221) حمد الله المستوفي القزويني: المصدر السابق، جلد أول، ص 396.

إذن فقد اضطربت العلاقة بين السلطان محمود وأيلك خان، واستغل أيلك خان غياب السلطان محمود في الهند ونقض عهد الصداقة وأظهر أطماعه في الاستيلاء على خراسان.

أرسل أيلك خان فرقتين من جيشه إلى خراسان، الفرقة الأولى بقيادة سباشي تگين قائد جيشه في معظم الجيش إلى خراسان. والفرقة الثانية بقيادة أخيه جعفر تگين وعدد من القواد إلى بلخ. وكان والي طوس أرسلان الجاذب مقيمًا في هراة، وأمر إذا ظهر عليه مخالف أن يتجه إلى غزنة، وأمر الوزير أبو العباس الفضل ابن أحمد بالاحتياط على الطرق بين غزنة وحدود باميان وبنجهير وسدّها بالرجال الأكفء، وأرسل البريد إلى السلطان يخبره بها حدث⁽²²²⁾.

واستغل سباشي تگين الفرصة واستولى على هراة وأرسل أحد قواده وهو الحسين بن نصر للاستيلاء على نيسابور، واستولى على أموال نيسابور. وسلك جماعة من أعيان خراسان طريق مصادقة وموالة الأعداء بسبب امتداد غيبة السلطان⁽²²³⁾.

وصلت الأخبار إلى السلطان محمود وهو بالهند، فرجع إلى غزنة «لا يلوي على دار ولا يركن إلى فرار» وأعطى السلطان العطاء لعساكره، وقام بتقوية الجيش وإصلاحه، واستمد الأتراك الخلجية، فأمدوه بجيش كبير، فسار بهم نحو بلخ، وبها جعفر تگين أخو أيلك خان، ففر إلى ترمذ. ونزل السلطان ببلخ.

سير السلطان، أرسلان الجاذب في عشرة آلاف جندي نحو سباشي تگين في هراة، فذهب سباشي تگين إلى مرو ثم توجه إلى سرخس، وقاتله محسن بن طارق رئيس الأتراك الغزية، فانتهصر سباشي تگين، وقتل كثير من الجنابين، وتعبه أرسلان الجاذب في كل مرحلة رحلها. فسار إلى أبيورد ومنها إلى نسا «وساقه الخوف من الطلب إلى جرجان» ثم عاد إلى نسا واتجه نحو مرو، وكان السلطان محمود قد انحدر إلى طوس، فلما بلغه اتجاه

(222) العتبي: المصدر السابق، ج2، ص 76، 77.

ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 188. ميرخوند: المصدر السابق، والمجلد، ص 138.

خواندمير: المصدر السابق والمجلد، ص 377، 478، p. Howorth, Loc. Cit.

(223) العتبي: المصدر السابق، ج2، ص 77، الغرديزي: المصدر السابق، ص 287.

البهقي: المصدر السابق، ص 601. ميرخوند: المصدر السابق، والمجلد، ص 138،

سباشي تگين إلى مرو سار ليلاً على طريق مرو معارضاً له، فوصل إليه، وأرسل السلطانُ أبا عبد الله محمد بن إبراهيم الطائفي زعيم العرب وسائر قواده، ونشب القتال بين الطرفين، وأسر أخو سباشي تگين وسبعائة من جنوده، ونجا سباشي تگين في عدد قليل من جنوده وعبر جيحون إلى أيلك خان⁽²²⁴⁾.

وقد أراد أيلك خان تخفيف الضغط على سباشي تگين فسير أخاه جعفر تگين في ستة آلاف جندي إلى بلخ ثانية . وعمل على إخراج سباشي تگين من خراسان، فلما أخرجه منها، عاد إلى بلخ، وهزمهم السلطان محمود، وتبعهم قائد الجيش أبو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتگين على ساحل جيحون⁽²²⁵⁾.

وهكذا استطاع السلطان محمود أن يرد جيوش أيلك خان عن خراسان بعد هزيمة سباشي تگين وجعفر تگين وفرارهما إلى ما وراء النهر.

وأراد الأيلك خان الثأر لهزيمة جيوشه، فراسل قدر خان بن بغراخان ملك الختن لقرابة بينهما، واستعان به واستنصره، واستنفر الترك من أقاصي بلادها واستنفر دهاقين ما وراء النهر في جيوش كبيرة وسار في خمسين ألفاً حتى عبر جيحون.

وبلغ الخبر السلطان محمود الغزنوي، وهو بطخارستان، فسار وسبقهما إلى بلخ واستعد للحرب، وخرج السلطان، ومعه الأتراك الغزية والخلج، والهند، والأفغانية والغزنوية⁽²²⁶⁾ وأقام السلطان محمود معسكره على بعد أربعة فراسخ من بلخ، عند قنطرة جرخيان. وزحف أيلك خان بمحاذاته.

(224) العتبي: المصدر السابق، ج2، ص 78 : 82. الكرديزي: المصدر السابق، ص 287.

ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 188، 189. السويدي: المصدر السابق، ج26، ص 41، 42.

وانظر أيضًا: بارتولد: تاريخ إيران در قرون نخستين اسلامي، ج1، ص 201.

عبد الرفيع حقيقت: المرجع السابق، ص 200، 201، Grousset, OP. Cit., p 156.

(225) العتبي: المصدر السابق، ج2، ص 82. ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 189.

(226) العتبي: المصدر السابق، ج2، ص 83، 84. الكرديزي: المصدر السابق، ص 288.

ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 191. ميرخوند: المصدر السابق، والمجلد، ص 139. وانظر أيضًا: عباس إقبال: المرجع السابق، ص 174، 175.

يذكر العتبي أن السلطان رتب «رجالَه صفوفًا كالجبال الراسيات.... ورتب في القلب أخاه نصرًا صاحب الجيش ووالي الجوزجان أبا نصر أحمد بن محمد الفرغاني، وأبا عبد الله محمد بن إبراهيم الطائي في كِماء الأكراد والعرب وسائر جماهير الهنود، ورتب في الميمنة حاجبه الكبير أبا سعيد ألتوناش وندب للميسرة أرسلان الجاذب فيمن تحت قيادته من نجوم الأبطال. وحصن الصفوف بزهاء خمسمائة من فيلته» في حين نظم أيلك خان قواته «فشحن قلبه بخواص غلمانِه وأعلام فرسانه وولى قدر خان ميمته في أتراك الختن، وشحن بجعفر تگين ميسرته، واستنزل أيلك عن سهوات الخيول إلى صعيد الأرض زهاء ألف غلام يفلقون الشعور أنصافًا»⁽²²⁷⁾.

اتجه السلطان محمود إلى ربوة، فوضع لله جده وعفر شعره تواضعًا لله تعالى، وسأله النصر الظفر، ودعا الله أن يجرس ملكه، ثم اتجه إلى ساحة القتال وأمر بأن يركوا الفيلة جميعًا ويهجموا على قلب أيلك خان، فأزاله عن مكانه، وهزم الترك، وأسر عسكر السلطان محمود الكثير منهم وقتلوهم، وأما الذين هربوا فقد غرقوا في النهر، واستولى السلطان محمود على خيولهم وأسلحتهم. وكان هذا النصر يوم الأحد 22 ربيع الثاني 398هـ/ 4 يناير 1008م⁽²²⁸⁾.

وصفوة القول أن السلطان محمودًا الغزنوي دخل هذه المعركة بكل قوته لأن هزيمته تعرض دولته للخطر، وقد منَّ الله عليه بالنصر، وزادت هذه المعركة من هيبة السلطان

(227) العتبي: المصدر السابق، ج2، ص 84، 85. ميرخوند: المصدر السابق والمجلد، ص 139.

خواندمير: المصدر السابق والمجلد، ص 377.

(228) العتبي: المصدر السابق، ج2، ص 86.

الگرديزي: المصدر السابق، ص 288، 289. حمد الله المستوفي القزويني: المصدر السابق، جلد أول،

ص 396. التويري: المصدر السابق، ج26، ص 43، 44.

ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتحيح، دار الحديث، القاهرة، ط الخامسة،

1998م، المجلد السادس، ج11، ص 362.

وانظر أيضًا بارتولد: تاريخ إيران، ص 202، فراي: المرجع السابق، ص 225،

نصرت الله حكيم: المرجع السابق، ص 52، 478، Howorth, Loc. Cit.

محمود في الشرق. وأنهت هزيمة الأيلىك خان نفوذهم في خراسان، وأدت هذه المعركة إلى حدوث نزاعات بين أفراد الأسرة الحاكمة. بين أيلىك خان وأخيه الأكبر طغان خان، الذي كان يرتبط بعلاقة حسنة مع السلطان محمود، وأرسل إلى السلطان محمود يعتذر عما فعله أيلىك خان. ويقول: إنني ما رضيت ذلك منه، ويلزم أخاه وحده الذنب، وتبرأ منه⁽²²⁹⁾.

ورأى أيلىك خان أن يقضي على أخيه فجمع جيش ما وراء النهر واتجه إلى ولاية طغان خان واضطر للعودة لأن الثلوج سدت الطريق عليه. وأرسل السلطان محمود إلى أيلىك خان وطغان خان رسالة يقول فيها: «إن المحبة الأخوية تقتضي أن تغمدنا سيف الانتقام في غمده وتقنعا بما قدره الله القادر ذو الجلال لكما من الملك والمال، وينبغي أن تسلكا بعد ذلك طريق المحبة والود، وتغلقا أبواب النزاع والجدال»⁽²³⁰⁾.

وفي سنة 403هـ / 1012م توفي أيلىك خان وهو يستعد للعودة إلى خراسان، وتولى بعده أخوه طغان خان، فراسل السلطان محمود الغزنوي وصالحه وقال له: «المصلحة للإسلام والمسلمين أن تشتغل أنت بغزو الهند وأشتغل أنا بغزو الترك وأن يترك بعضنا بعضا» فأجابه إلى ذلك وزال الخلاف واشتغل بغزو الكفار⁽²³¹⁾.

وفي سنة 408هـ / 1017م توفي طغان خان، وتولى بعده أخوه أبو المظفر أرسلان خان ولقبه شرف الدولة (أبو منصور الأصبم)⁽²³²⁾. استمر مثل أخيه طغان خان على علاقة

(229) العتبي: المصدر السابق، ج2، ص 128. ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 222.

وانظر أيضًا فراي: المرجع السابق، ص 226.

(230) ميرخوند: المصدر السابق والمجلد، ص 143، 144.

وانظر أيضًا عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص 106.

(231) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 240. - Howorth, Loc. Cit, p 479.

(232) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 298.

ابن كثير: المصدر السابق، المجلد السادس، ج12، ص 7.

طيبة مع السلطان محمود الغزنوي ، وقد ذكر العتبي أن السلطان محمود «استشعارًا للمواخاة وإيثارًا للاشتراك... خطب السلطان إليه وإلى أخيه أيلك كريمة له على ولده الأمير الجليل أبي سعيد مسعود ابن يمين الدولة فأحسننا الإجابة» أي أن السلطان محمود أراد تدعيم العلاقة بين الخانيين والغزنويين برباط المصاهرة بأن يخاطب ابنه أرسلان خان على الأمير مسعود بن محمود، وقبول الطلب بالموافقة. وتردد السفراء بينها بالهدايا، وتم عقد القران وأرسل السلطان من اختارهم من ثقاته لنقل العروس وتجهيز ما يلزم للرحلة، ونقلت إلى بلخ وصحبها فقهاء الدولة وأعيان رجالها من أئمة المشرق⁽²³³⁾. وقد زينت بلخ لاستقبال العروس، استقبلاً يليق بزوجة الأمير مسعود بن محمود وتم الزفاف في سنة 408هـ/ 1017م⁽²³⁴⁾.

وفي سنة 415هـ/ 1024م ذهب السلطان محمود إلى بلخ ليقضي الشتاء فيها و«كان يأتي طوال الوقت المتظلمون من علي تگين من بلاد ما وراء النهر، فقد ارتكب كثيرًا من المظالم وجعل الناس في ألم وجور منه، وألحق الأذى بالرعية وأهل الصلاح، وحينما عم الظلم صمم محمود على أن يخلص المسلمين من هذا البلاء وهذه الآلام» وقد رغب في أن يعبر جيحون ويستطلع بلاد ما وراء النهر. مما يدل على أنه لم يذهب إلى هذه البلاد من قبل⁽²³⁵⁾.

وقال : «لو نعبر بالسفن فمن الممكن أن يتسرب الخلل إليها» ومكث في بلخ حتى اتخذ التدابير اللازمة للعبور، وأمر بصنع سلاسل غليظة تتكون من زوجين، كل واحد منها مقدار ذراع أو ثلاث أذرع، وأخذ هذه السلاسل كلها في جلد بقرة، وأحضروا السفن، وربطوا كل سفينة بالأخرى بهذه السلاسل المزدوجة، ثم ركبوها على قرائنها التي كانت في السفن، وأحضروا أليافاً قوية من سيستان إلى حد أن كل جمل كان يحمل ليقاً، وربطوا السفن بهذه الألياف أيضاً، وملاوا تجايف السفن بالحشو حتى يستطيع

(233) العتبي: المصدر السابق، ج2، ص 229 : 231.

(234) Howorth, Loc. Cit, p 841.

(235) الگردیزی: المصدر السابق، ص 301. الهروي: المصدر السابق، ج1، ص 32.

الفارس والمترجل والجمال والبغل والحمار أن يعبر بسهولة عليها، وعبر الجيش فوق هذا الجسر وعبر السلطان محمود أيضاً⁽²³⁶⁾.

وعندما وصل خبر عبور السلطان محمود إلى بلاد ما وراء النهر، ارتجف أهل هذه البلاد وقدم بعض الأمراء فروض الطاعة والولاء للسلطان محمود ومنهم أمير صغانيان، وهو أول من جاء لخدمته مع كامل جيشه، ثم قدم خوارزم شاه ألتونشاه الحاجب بجيشه، وأمر السلطان بتعبئة الجيش ونظم الميمنة والميسرة والقلب والجناحين، وأمر أن تكون أماكن صناعة الأسلحة في خلف الجيش، وأوقف الفيلة بدروعها وسروجها في المقدمة، ثم أمر فقرعوا الطبول والأبواق والدبذبات دفعة واحدة، فأصموا الأذان من الأصوات.

وعندما علم قدر خان، خان التركستان العظيم بعبور السلطان محمود نهر جيحون رحل عن كاشغر ليلتقي بالسلطان محمود ويحدد له العهد، فقدم سمرقند ومن هناك ذهب إلى السلطان محمود، وعلم السلطان محمود بنخبر حضور قدر خان واشتياقه لرؤيته، فحدد مكاناً يلتقيان فيه وقدم كل من السلطان محمود وقدر خان مع عدد من فرسانهما، وترجل كل منهما حينها رأى الآخر. والتقيا على طريق المحبة والصدقة، وسر السلطان لحضوره،

(236) الگردیزی: المصدر السابق، ص 301.

ويذكر ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 298، النويري: المصدر السابق، ج 26، ص 53، Howorth, Loc. Cit, p 482.

رواية أخرى وقعت أحداثها سنة 408هـ / 1017م وهي أن قدر خان استعان بالسلطان محمود على إرسال خان، فذهب السلطان إلى بلاد ما وراء النهر وأعانه على إرسال خان، ثم عاد السلطان إلى بلاده، فاصططح قدر خان وإرسال خان على قصد بلاد السلطان محمود واقتسامها، فهزمها السلطان. نحن نشكك في هذه الرواية على أساس أنها لم ترد عند العتبي والگردیزی وقد ذكر الگردیزی في سنة 415هـ / 1024م «أن السلطان محمود رغب في عبور جيحون ليستطلع هذه البلاد، مما يدل على أنه لم يذهب إلى هذه البلاد من قبل.

وبعد عبور السلطان نهر جيحون حضر إليه قدر خان واحتفل السلطان محمود به وأقام له الولائم. فهل يتم ذلك إذا كان قدر خان تحالف مع إرسال خان لقصد بلاد السلطان محمود. إذن فرواية الگردیزی هي أصدق الروايات في هذا الشأن.

وقدم كل منهما إلى الآخر الهدايا وقدم السلطان من نفائس الهندوستان الجواهر القيمة والأفيال الضخمة، قدم قدر خان نفائس الجواهر للسلطان. ونظم السلطان احتفالاً كبيراً ومأدبة ضخمة تكريمًا لضيفه⁽²³⁷⁾.

ترتب على هذا الاجتماع اتفاق السلطان محمود وقدر خان على توحيد قواتهما لانتزاع ما وراء النهر من يد علي تگين وإعطائها لبغا تگين بن قدر خان على أن يتزوج بغا تگين من زينب كريمة محمود وأن يتزوج محمد بن محمود من كريمة قدر خان⁽²³⁸⁾.

وعندما علم علي تگين بعبور السلطان محمود إلى بلاد ما وراء النهر، هرب إلى الصحراء، وعلم السلطان أن إسرائيل بن سلجوق قد أخفاه، فاستطاع السلطان بالحيلة أن يقبض على إسرائيل بن سلجوق وأرسله إلى الهندوستان. وعلم السلطان أن بنات علي تگين وزوجته سوف يلحقن به في الصحراء فأرسل حاجبه بلكاتگين فتمكن من أسر زوجة وبنات علي تگين واستولى على خزائنه وأحضرهن للسلطان محمود سنة 416هـ/ 1025م⁽²³⁹⁾.

ورغم الانتصارات التي حققها السلطان محمود رجع السلطان إلى بلخ دون أن يتخذ الإجراءات التي تؤمن مصالح حلفائه. من الواضح أنه لم يكن في نيته القضاء على أحد الفرعين الرئيسيين للخانيين، حتى لا يصبح قدر خان الحاكم المطلق لكل تركستان ولا يجد السلطان سوي ترمذ وقواذيان وصغانيان وختل وهي الولايات المتاخمة لبلخ وكانت خاضعة له⁽²⁴⁰⁾.

(237) الگردیزی: المصدر السابق، ص 301: 305. الهروي: المصدر السابق، ج1، ص 32.

وانظر أيضًا: بارتولد: تركستان، ص 423، 424.

(238) البيهقي: المصدر السابق، ص 211. وانظر أيضًا: بارتولد: المرجع السابق، ص 425، 426.

عباس إقبال: المرجع السابق، ص 194، 199. Barthold, Op. Cit, p 95.

(239) الگردیزی: المصدر السابق، ص 306، الهروي: المصدر السابق، ج1، ص 32.

وانظر أيضًا بارتولد: تركستان، ص 426، عباس إقبال: المرجع السابق، ص 194.

فراي: المرجع السابق، ص 228.

(240) بارتولد: تركستان، ص 426.

ووضح ذلك من معاملة السلطان محمود لبغراخان (بغاتكين) عندما جاء إلى بلخ ليذهب منها إلى غزنة لإتمام زواجه من زينب كريمة السلطان محمود وليلطلب معاونة السلطان في الاستيلاء على بخارى وسمرقند من علي تكين، فأجابه السلطان بأنه «ينبغي أن تعود وتعمل على جمع الكلمة فإننا قاصدون سومنات، فحين نفرغ من أمرها وتكون قد استوليت على خانية تركستان فإننا ندبر أمر ما نطلب».

وأدرك بغاتكين المغزى الحقيقي لهذه الإجابة، وغادر بلخ وفي نفسه شيء من الوحشة، ولم يتيسر بعد ذلك إرسال زينب بنت محمود الغزنوي، لوفاة السلطان محمود 421هـ / 1030م، واعتلى السلطان مسعود العرش، وتوفي قدر خان في العام التالي، وخلفه أرسلان خان على تركستان، فمنح أخاه بغراخان ولاية طراز وأسيجياب ونواحيها وكانت الصلة بينهما حسنة في الظاهر سيئة في الباطن⁽²⁴¹⁾.

وقد ذكر البيهقي أن الخانيين «عقدوا للأمير محمد على ابنة قدر خان... فلما قبض على الأمير محمد، ولم يتيسر الإتيان بتلك الفتاة تقرر الإقدام على عقد نكاح جديد عليها للسلطان مسعود»⁽²⁴²⁾.

أرسل السلطان مسعود رسولين هما أبو القاسم الحصري وهو من ندماء السلطان والقاضي أبو ظاهر التباني⁽²⁴³⁾ في سفارة إلى أرسلان خان وبغراخان لتجديد العهد والميثاق، ولعقد قران السلطان مسعود على بنت قدر خان. ومكث الرسولان في تركستان ثلاثة أعوام، وعادا ظافرين ومعهما الخاتون بنت قدر خان، وخاتون أخرى هي بنت أرسلان خان، وكانت مخطوبة للأمير مودود، وقد ماتت في الطريق، ومات القاضي التباني في بروان على مقربة من غزنة وجاء أبو القاسم الحصري بالعروس إلى غزنة، واحتفل

(241) البيهقي: المصدر السابق، ص 571.

(242) البيهقي: المصدر السابق، ص 211.

(243) أبو ظاهر التباني: كان من أعظم التبانين في الفضل والعلم والورع والخط الجميل والإنشاء الأنيق. تولى منصب قاضي قضاة نيسابور وطوس ونسا وتولى قاضي ختلان قبل ذلك. البيهقي: المصدر السابق، ص 212. وانظر أيضًا ثابتي: المرجع السابق، ص 137.

بزواج السلطان من عروسه،⁽²⁴⁴⁾ احتفالات لم ير الناس مثلها ، فقد أراد السلطان بذلك أن يرى الترك من المباهج ما لم يروه من قبل⁽²⁴⁵⁾.

وبعث بغراخان، حاجبه وأحد العلماء في سفارة إلى السلطان مسعود، طالبًا عقد قرانه على أخته زينب، وأرسل أرسلان خان يطلب عقد هذا الزواج. وعزم السلطان مسعود إرسال العروس ولكن بلغ إلى مسامع السلطان أن بغراخان تحدث حديثًا لا يليق في أمر الميراث المستحق لزينب من السلطان محمود ، «فغضب غضبًا شديدًا وأعاد الرسول بخفي حنين مع وعود معسولة وأجل لم يسم» وأرسل إلى أرسلان خان يشكو هذا الطمع. وعاتب أرسلان خان أخاه على ذلك، فغضب بغراخان وأصبح عدوا لأخيه وللسلطان مسعود ، وأغرى السلاجقة سرًا وقوى عزائمهم على مهاجمة خراسان. وعندما دخل السلاجقة خراسان وهزموا بكتغدي، أظهر بغراخان الشماتة والفرح⁽²⁴⁶⁾.

أرسل السلطان مسعود أبا صادق التباني من أقارب أبي طاهر التباني رسولاً إلى أرسلان خان وبغراخان بحيث يستعين بأرسلان خان لمنع بغراخان من تدبير أي شيء ضد السلطان ، ووعد السلطان أبا صادق أنه إن نجح في سفارته سوف يعطيه قضاء نيسابور. فذهب أبو صادق في سفارته سنة 428هـ / 1037م وبذل جهدًا كبيرًا في هذه المهمة حتى قال عنه بغراخان «إنه يذكرنا بمناظرات وجدل أبي حنيفة» وقد أقروا جميعًا أنهم لم يروا مثله أحدًا في الصدق والأمانة. ونجح بعد مفاوضات طويلة في إبرام العهد مع أرسلان خان وبغراخان وأقنعهما بوجوب إثارة الود مع السلطان. وعاد إلى غزنة سنة 430هـ / 1039م⁽²⁴⁷⁾.

(244) البيهقي: المصدر السابق، ص 212، 571، 572.

(245) بارتولد: تركستان، ص 438.

(246) البيهقي: المصدر السابق، ص 572.

(247) البيهقي: المصدر السابق، ص 573، 574.

وهكذا فقد حرص السلطان مسعود على علاقة الود مع أرسلان خان وبغراخان حتى ينعم كلا الطرفين بالهدوء وحتى لا يجمع السلطان مسعود بين عداوة الخانيين. والسلاجقة في وقت واحد.

أما علاقة علي تگين بالسلطان مسعود، فترجع إلى وفاة السلطان محمود، فقد بعث مسعود إلى علي تگين يطلب منه العون على أخيه محمد، ووعده في مقابل ذلك بأن يتنازل له عن الختل⁽²⁴⁸⁾ إلا أنه عندما حلت مشكلة وراثته العرش لصالحه دون إراقة دماء، بسبب خيانة أنصار محمد، لم يجد مسعود ما يحمله على البر بوعده، مما أثار عليه حنق علي تگين⁽²⁴⁹⁾.

وقد ذكر البيهقي أن علي تگين لن يهدأ له بال وهو يطلق لسانه، ويعد الجيوش لأن «السلطان كان قد أمّله قبل استقرار الأمر له، إذا أمده بالجيوش مع أحد أولاده، بأن ينعم عليه بالإمارة. فلما استقامت له الأمور بغير حرب أو كرب، واستقر له الملك، وأصبح لا منازع له في الدولة، فكر في أن ينتهز الفرصة ويبادر بالعدوان»⁽²⁵⁰⁾.

وقال السلطان مسعود: «إن علي تگين خصم لدود، وإنه ليطمع في المُحال، والأصلح أن نستأصل شأفته من بلاد ما وراء النهر» وأراد السلطان مسعود مساعدة بغاتگين في الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر، وإتمام زواجه من أخته زينب وفكر السلطان في حل آخر وهو أن يرسل إلى خوارزمشاه التوتناش وأن يتوجه إلى ما وراء النهر بجيش قوي.

وعرض السلطان الأمر على مستشاريه، وقد وافقوا على الحل الثاني⁽²⁵¹⁾.

وأرسل السلطان مسعود إلى خوارزم شاه أميرك البيهقي صاحب بريد بلخ، وعبدوس كتخدا العسكر، برسالة لمهاجمة علي تگين والقضاء عليه. وأعد خوارزمشاه

(248) الختل: كورة واسعة كثيرة المدن في بلاد ما وراء النهر. ياقوت: المصدر السابق، ج3، ص 215.

(249) بارتولد: تركستان، ص 438، 439. عباس إقبال: المرجع السابق، ص 194.

- Barthold, Op. Cit., p 96.

(250) البيهقي: المصدر السابق، ص 357.

(251) البيهقي: المصدر السابق، ص 358. وانظر أيضًا: بارتولد: تركستان، ص 439.

العدة لتنفيذ أوامر السلطان، ووصل خوارزمشاه إلى حدود بلخ وأرسل السلطان مسعود إليه خمسة عشر ألفاً بقيادة بكتكين چوكاني وبيري قائد الإسطبلات المسعودية وأمرهم السلطان بأن يؤديوا واجبهم خير أداء، وأن يأتروا بأمر خوارزمشاه التونتاش ولا يخالفوه.

وعبر خوارزمشاه نهر جيحون، وتوجه إلى بخارى، فوجد علي تگين قد سلم المدينة إلى غزاة ما وراء النهر وحمل معه الخزانة إلى دبوسي⁽²⁵²⁾ ليحارب عندها. وأمر مائة وخمسين غلاماً بأن يحموا قلاعهم، وعندما علم خوارزمشاه أرسل عشرة من السرهنكية إلى بخارى ليتأكدوا من الخبر، وقام بتعبئة الجيش ووصل إلى بخارى وهربت جنود علي تگين، وقدم غزاة ما وراء النهر وأهل بخارى الطاعة⁽²⁵³⁾.

توجه التونتاش إلى سمرقند ووصل إلى دبوسي، وقام بتعبئة الجيش ووقف خوارزمشاه في القلب وعين في الجناح مما يلي القلب أقوى رجال الجيش حتى يستطيع أن يمد الميمنة أو الميسرة بالإمداد عند الحاجة.

وأمر بكتكين الجوكاني وبيري ليكونا على الميمنة، وجعل قائده تاش ماهروي على الميسرة. وأمر بخمسة من القادة العظام مع المبارزين أن يشطروا نصفين كل من يفر من المعركة.

زحف خوارزمشاه مع جند القلب نحو علي تگين ولحق به بكتكين وبيري، واقتحم علي تگين الميدان مع قلب جيشه وميسرته، وتقدم خوارزمشاه الصفوف، فلما أبصر الجيشان شارته التحما، وقتل كثير من الجانبين، وثبت الجيشان لهذه الحرب التي لا هوادة فيها حتى المساء، وأصيب خوارزمشاه بسهم في نفس الجزء من قدمه اليسرى التي كان قد أصابه بها حجر من حصن في الهند⁽²⁵⁴⁾ واستدعى خوارزمشاه أمراء الجيش وأخبرهم بجرحه، وبعد المشورة أرسل الأمراء إلى علي تگين لحثه على الصلح، ولما كان قد قتل

(252) دبوسية: بليد من أعمال الصغد من ما وراء النهر. ياقوت: المصدر السابق، ج4، ص 287.

(253) البيهقي: المصدر السابق، ص 358، 362، 363. ميرخوند: المصدر السابق والمجلد، ص 161، 162. - Howorth, Loc. Cit, p 485.

(254) البيهقي: المصدر السابق، ص 367، 368. ميرخوند: المصدر السابق والمجلد، ص 162.

وجرح كثير من جيشه، انتهى الأمراء بأن يعود الجيشان كل إلى وطنه في نفس الليلة، وتوفي ألتونتاش في اليوم التالي⁽²⁵⁵⁾.

وهكذا فشل أي من الجيشين في تحقيق النصر على الآخر وانتهت المعركة بالصلح وأن يعود كل جيش إلى وطنه وكانت تلك المعركة سنة 423هـ / 1032م.

وفي عام 425هـ / 1034م أرسل علي تگين رسولا يدعى البتگين ويصحبه خطيب بخارى عبد الله الفارسي إلى السلطان مسعود، وأحسن استقبالهما وقدم الرسولان إلى السلطان مسعود «فقال لهما السلطان: كيف تركتما أخانا أيلك خان؟ قالوا: لقد تركناه ببركة حياة السلطان الأعظم محاطًا بكل متعة وراحة، وما دامت رعاية الجانب العالي في ازدياد فإنه يزداد يومًا بعد يوم عزًّا...، ولقد أرسلنا لتقوية أوامر الألفة والمودة» وسلمنا الرسالة للسلطان.

وجاء في رسالة علي تگين: «إننا لا ندرى كيف نعتذر عما صدر منا من السهو، مع تلك الرعاية التي أفاضها السلطان علينا، وإذ بلغت صلتنا بالسلطان إلى هذا الحد من الألفة والصدقة، فإن لنا مقاصد ثلاثة... أولها أن يرفع السلطان قدرنا بتزويج أحدنا إحدى كريمات الأسرة. والثاني أن يكرمنا بتزويج أحد أبنائه من إحدى بناتنا، والثالث أن تتوثق بيننا وبين أرسلان خان صاحب تركستان وأميرها العهود والمواثيق بواسطة السلطان، ليثبت لديه أن لا خلاف بيننا وأن البيوت قد أصبحت بيتًا واحدًا، فتقطع بذلك كل أسباب الخصام والعداء».

ووافق السلطان مسعود على المقاصد الثلاثة، وتقرر أن تخطب إحدى أخوات أيلك للأمير سعيد نجل السلطان، وأن تزف إحدى بنات الأمير نصر قائد الجيش إلى أيلك... وعاد الرسولان ظافرين بالأمان⁽²⁵⁶⁾.

وصفوة القول أن علي تگين أراد تدعيم أوامر الصداقة والألفة بالمصاهرة بين الطرفين بالإضافة إلى العهود والمواثيق مع أرسلان خان تركستان، وقد وافق السلطان مسعود على هذه المقاصد حتى يعم السلام ويتنشر الأمن وحتى يتفرغ لنشر

(255) ميرخوند: المصدر السابق والمجلد، ص 162. وانظر أيضًا: عباس إقبال: المرجع السابق، ص 194.

عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص 108.

(256) البيهقي: المصدر السابق، ص 548 : 551.

الإسلام في الهند، وأيضًا لأن علي تگين كان يمتلك عددًا كبيرًا من الجند من الممكن أن يثيروا قلاقل وفتنًا، وقد رأينا كيف دخل معركة كبيرة مع خوارزمشاه ولم يحقق خوارزمشاه انتصارًا عليه وانتهت بالصلح بين الطرفين.

وتوفي علي تگين عام 425هـ/ 1034م وأرسل السلطان مسعود كتب التعزية في علي تگين والتهنئة لابن علي تگين في بخارى وخاطب ابن علي تگين «بالأمير الفاضل الولد» لكن هذه الرسالة لم تؤثر في ابن علي تگين واغتنم فرصة موت أبيه وبعد السلطان عن خراسان واضطراب الأحوال فيها لتحقيق أغراضه. فتحالف ابن علي تگين مع هارون ابن التونتاش⁽²⁵⁷⁾ على أن يغير هارون على مرو، ويغير أبناء علي تگين على صغانيان. وترمذ، فاجتاح أبناء علي تگين صغانيان وفشلوا في الاستيلاء على قلعة ترمذ، وقتل هارون بن التونتاش. فرجع أبناء علي تگين⁽²⁵⁸⁾.

وتجهز السلطان مسعود للثأر من ابن علي تگين لغزو أراضيه، غير أنه وصل رسول من قبل ابن علي تگين لتقديم الاعتذار باسم أميرهم، وقد قبل الاعتذار، ولكن السلطان مسعود أبي أن يقابل الرسول علامة على سخطه⁽²⁵⁹⁾.

وهكذا فقد تذبذبت العلاقة بين الغزنويين والخانيين بين الود والصدقة والمصاهرة لتدعيم أواصر الصداقة ومعاملة الند للند كما رأينا في استقبال محمود الغزنوي لقدر خان، وأيضًا في سؤال مسعود عن أحوال علي تگين، وبين الفساد والحروب بين الطرفين.

وقد قال السلطان محمود: «إن الترك يتقربون منا بحكم الضرورة وإنهم كلما أوتوا القوة لا يبقون علينا ولا يجاملون»⁽²⁶⁰⁾.

(257) سبب عصيان هارون بن التونتاش أن السلطان مسعود حد من سلطاته، فقد منح لقب خوارزم شاه لسعيد ابنه هو وقرر أن يحكم خوارزم هارون بن التونتاش بالإنيابة عن الأمير، كما أن الخلعة التي تسلمها هارون من السلطان كانت نصف خلعة أبيه. وقتل السلطان مسعود أخاه. بار تولد: تركستان، ص 441.

(258) البيهقي: المصدر السابق، ص 497: 499.

وانظر أيضًا: عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص 108، 109.

(259) بار تولد: تركستان، ص 443. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص 109.

(260) البيهقي: المصدر السابق، ص 573.

وقد نشبت حروب كثيرة بين الطرفين لكنها لم تحقق شيئاً ولم تأتِ بنتيجة حاسمة. وكانت أغلب هذه الحروب بهدف التوسع لدى كل طرف على حساب الآخر.

2. علاقة الخانيين بالسلاجقة:

اضطر السلاجقة بسبب ازدحام ديارهم وضيق مراعيهم إلى الهجرة من تركستان إلى بلاد ما وراء النهر حوالي سنة 375هـ / 985م وكانت منازلهم في الشتاء في نور بخارى وفي الصيف في سغد سمرقند⁽²⁶¹⁾. وقد ذكر الراوندي أن «جيوشهم كثيرة وجنودهم وفيرة وعددهم خارج عن الحصر والعد»⁽²⁶²⁾. وذكر الأصفهاني أنهم «ما زالوا في أنضر شيعة وأنضر عيشة، والسلاطين يرعونهم للملمات، ولا يروعونهم، ويدعونهم للمهمات»⁽²⁶³⁾. شارك السلاجقة في الصراع بين الخانيين والسامانيين حول السيادة على ما وراء النهر، وانضموا إلى جانب السامانيين، وساعدوا المنتصر في حربه ضد أيلك خان. وتمكن سلجوق بن دقاق خلال هذا الصراع من الاستيلاء على منطقة واسعة من أخصب بقاع بلاد ما وراء النهر وصار أحد أمراء بلاد ما وراء النهر المستقلين⁽²⁶⁴⁾.

وعندما هرب علي تگين من حبس أرسلان خان، واستولى على بخارى، تحالف مع أرسلان بن سلجوق، فقصدهما أيلك أخو أرسلان خان فهزماه وبقياً في بخارى⁽²⁶⁵⁾ وعندما قام السلطان محمود الغزنوي بحملة على بلاد ما وراء النهر ضد علي تگين سنة 416هـ / 1025م ساعد أرسلان بن سلجوق، علي تگين على الاختفاء. وقام السلطان محمود بالقبض على أرسلان خان بالحيلة وأرسله إلى الهند⁽²⁶⁶⁾.

(261) الراوندي: المصدر السابق، ص 145. وانظر أيضاً: عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول

الإسلامية المستقلة في الشرق، ص 152، 153.

(262) الراوندي: المصدر السابق، ص 147.

(263) العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص 7.

(264) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص 152.

فامبري: المرجع السابق، ص 128، 129.

(265) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 475.

(266) الكرديزي: المصدر السابق، ص 306.

وحاول علي تگين أن يفرق بين السلاجقة، ويضرب بعضهم ببعض، فأرسل إلى يوسف بن موسى بن سلجوق، وهو ابن عم طغرلبك محمد، وجغرى بك داود، ووعدته بالإحسان إليه، وطلب منه الحضور، وفوض إليه رئاسة جميع الأتراك في ولايته وأقطعه العديد من الإقطاعات ولقبه بالأمير اينانج بيغو. وأراد علي تگين أن يستعين به وبعشيرته على طغرلبك وداود ابني عمه، فلم يطعه يوسف، فأمر علي تگين بقتله، فقتله أحد أمراء علي تگين ويدعى ألب قرا. فقام طغرلبك وأخوه داود بالشار ومحاربة علي تگين والانتصار عليه⁽²⁶⁷⁾.

وفي سنة 421هـ / 1030م قصد طغرلبك وداود، ألب قرا الذي قتل يوسف، فقتلاه وقتلا نحو ألف من جنود علي تگين، فقام علي تگين بمحاربتهم، وهزمها وقتل كثيرًا من جنود السلاجقة وأخذ أموالهم وأولادهم وسبى كثيرًا من نسائهم⁽²⁶⁸⁾. ثم بدأت العلاقة تعود إلى سابق عهدها، وبدأ علي تگين يعاملهم بود وصدقة، فلما توفي علي تگين سنة 425هـ / 1034م هاجم ابنه وقائد جيشه قونش السلاجقة، وطردهم مما وراء النهر⁽²⁶⁹⁾.

أراد السلاجقة توطين العلاقة مع الخانيين فتزوج السلطان ألب أرسلان⁽²⁷⁰⁾ من ابنة قدر خان، وكانت قبله عند مسعود بن محمود الغزنوي، وتزوج شمس الملك نصر بن إبراهيم من ابنة ألب أرسلان، وزوج بنت عمه عيسى خان من ملكشاه، وهي خاتون الجلالية، أم الملك محمود الذي ولي السلطنة بعد أبيه⁽²⁷¹⁾.

(267) ابن الأثير: المصدر السابق والمجلد، ص 476.

وانظر أيضًا: فامبري: المرجع السابق، والمجلد ص 130، 131.

(268) ابن الأثير: المصدر السابق، ص 477.

(269) البيهقي: المصدر السابق، ص 503. وانظر أيضًا: عباس إقبال: المرجع السابق، ص 195.

(270) ألب أرسلان: هو السلطان عضد الدولة ألب أرسلان، أبو شجاع محمد بن جغرى بك داود بن ميكائيل بن سلجوق، حكم من 455: 465هـ / 1063: 1073م.

الراوندي: المصدر السابق، ص 143. التويري: المصدر السابق، ج 26، ص 303.

(271) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 301. - Howorth, Loc. Cit, P489

وقد ذكر الراوندي أن «تركان خاتون بنت طمغاج خان زوجة السلطان ملكشاه»⁽²⁷²⁾ والحقيقة أن زوجة ملكشاه هي ابنة طمغاج خان إبراهيم، أي أنها أخت شمس الملك، ويدل على ذلك ما ذكره كثير من المؤرخين من أنها عمه أحمد خان بن خضر خان بن طمغاج خان⁽²⁷³⁾ وبهذا ارتبطت الأسرة السلجوقية بالأسرة الخانية برباط النسب.

وفي سنة 457هـ / 1065م قام ألب أرسلان بحملة على بلاد ما وراء النهر ووصل إلى جند قرب بخارى وأطاعه أميرها⁽²⁷⁴⁾. من المحتمل أنه قام بهذه الحملة لوجود خلاف بينه وبين طمغاج خان إبراهيم ولم توضح المصادر سبب هذا الخلاف.

وفي سنة 465هـ / 1073م خرج شمس الملك على طاعة السلاجقة، فخرج ألب أرسلان في مائتي ألف جندي لتأديب شمس الملك. وقتل ألب أرسلان على يد أحد المتمردين⁽²⁷⁵⁾.

وفي سنة 482هـ / 1089م كاتب الرعية السلطان ملكشاه واستغاثوا به، أن يقدم عليهم ليخلصهم من أحمد خان ابن خضر خان، لأنه كان حاكمًا سيئ السيرة، وقبيح الصورة والفعل وكثير المصادرات⁽²⁷⁶⁾.

(272) الراوندي: المصدر السابق، ص 207. وانظر أيضًا: عباس إقبال: المرجع السابق، ص 245. فاميري: المرجع السابق، ص 137.

(273) النويري: المصدر السابق، ج26، ص 56. ابن خلدون: المصدر السابق، المجلد الخامس، ص 20. وانظر أيضًا: عباس إقبال: المرجع السابق، ص 253.

(774) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد العاشر، ص 49. وانظر أيضًا: عباس إقبال: المرجع السابق، ص 245.

(275) الراوندي: المصدر السابق، ص 190، 191. وانظر أيضًا: عباس إقبال: المرجع السابق، ص 248.

- Howorth, Loc. Cit, pp 489, 490.

(276) النويري: المصدر السابق، ج26، ص 56، 327. ابن خلدون: المصدر السابق، المجلد الخامس، ص 20. وانظر أيضًا: عباس إقبال: المرجع السابق، ص 252. محمد عبد العظيم أبو النصر: المرجع السابق، ص 93.

وأعد السلطان ملكشاه العدة وعبر نهر جيحون واستولى على بخارى وما جاورها ثم سمرقند وقبض على أحمد خان وأرسله إلى أصفهان، وعين على سمرقند الأمير أبا طاهر عميد خوارزم، وثار الأهالي ضده فهرب إلى خوارزم وكاتب مقدم الجكلية عز الدولة يعقوب تگین أخا ملك كاشغر ليتولى الأمر. فعاد السلطان ملكشاه، ووصل إلى بخارى فهرب يعقوب وعين السلطان الأمير أتسز، لكن الأمور لم تستقر معه فأعاد السلطان أحمد خان سنة 485هـ/ 1092م وأقيمت الخطبة لملكشاه وضربت السكة باسمه⁽²⁷⁷⁾.

لم تعرف الأسباب التي أدت بملكشاه أن يعيد أحمد خان إلى الحكم مرة ثانية. وفي سنة 490هـ/ 1097م خضعت بلاد ما وراء النهر لبركياروق بن ملكشاه، وأصبح في يده تعيين حكام بلاد ما وراء النهر فعين سليمان تگین ثم محمود تگین ثم هارون تگین⁽²⁷⁸⁾. وقد اعترفوا بسلطنة بركياروق.

وفي سنة 495هـ/ 1102م أراد قدر خان جبريل أن يستولي على خراسان، فتصدى له سنجر، وفي أثناء خروجه للصيد طلب سنجر من قائده يرغش أن يقوم بأسر قدر خان، فأسره وأحضره إلى سنجر الذي قام بضرب عنقه⁽²⁷⁹⁾.

وفي سنة 497هـ/ 1102م عين السلطان سنجر، ابن اخته، محمد تگین، ولقب أرسلان خان، وصارت ما وراء النهر تحت طاعة سنجر المباشرة، وقد أمد سنجر أرسلان خان أكثر من مرة للقضاء على معارضييه.

وظل أرسلان خان يحكم بلاد ما وراء النهر بسلام نحو سبعة وعشرين عامًا وكان سنجر هادئ البال من هذه الناحية إلا في عام 507هـ/ 1113م عندما علم أن أرسلان

(277) العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص 57، 58. ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد التاسع، ص 301.

التويري: المصدر السابق، ج 26، ص 327، 328. ابن خلدون: المصدر السابق، المجلد الخامس، ص 20، 21. القلقشندي: المصدر السابق، ج 4، ص 447. وانظر أيضًا: حافظ أحمد حمدي: المرجع السابق، ص 33.

(278) بارتولد: تركستان، ص 467.

(279) العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص 241. وانظر أيضًا: عباس إقبال: المرجع السابق، ص 277.

خان يظلم رعيته، وقد عصاه، فذهب سنجر بالجيش، فاعتذر أرسلان خان وقبل الأرض بين يديه فعفا عنه سنجر وأعادته إلى إمارته، وظل يحكم حتى عام 524 هـ / 1130 م⁽²⁸⁰⁾.

وعين السلطان سنجر، أبا المعالي حسين تگين بن عبد المؤمن بن علي حفيد علي تگين، ثم عين محمود خان ابن أرسلان خان، خانا أكبر على بلاد ما وراء النهر سنة 526 هـ / 1131 : 1141 م⁽²⁸¹⁾.

وطوال تلك الفترة حوالي 46 عامًا كان سلاطين السلاجقة يعينون حكام بلاد ما وراء النهر وتقام الخطبة وتسك العملة لهم. وقد اعترف الخانيون في بخارى وبلاد ما وراء النهر بسيادة السلاجقة عليهم طوال تلك الفترة⁽²⁸²⁾.

وفي سنة 536 هـ / 1141 م حدثت معركة قطوان⁽²⁸³⁾ بين السلطان سنجر وكورخان القراخطاي، وترجع أسباب هذه المعركة إلى:

1- أن السلطان سنجر قتل ابنًا لخوارزمشاه أئسز بن محمد، فبعث خوارزمشاه إلى الخطا وهم بما وراء النهر يطعمهم في البلاد، ويحثهم على قصد مملكة السلطان سنجر.

2- أن اشتكى محمود خان بن محمد خان من الجنود القاراغلية، فقصد السلطان سنجر فلجأوا إلى كورخان، فكتب كورخان كتابًا إلى السلطان سنجر يطلب العفو عن الأتراك القاراغلية. فلم يقبل السلطان شفاعته. وكتب يدعو إلى الإسلام ويتهدده إن لم يجيب إليه⁽²⁸⁴⁾.

3- أن بعض فرسان قرلق هزموا ونكبوا عدة مرات، فخافوا عقاب السلطان سنجر. فأرسلوا شخصًا منهم يستدعي الخطا⁽²⁸⁵⁾.

(280) بارتولد: تركستان، ص 467. عباس إقبال: المرجع السابق، ص 277، 278.

(281) بوزورث: المرجع السابق، ص 162، ستانلي لين بول: المرجع السابق، ص 282.

- Howorth, Loc. Cit, p 496.

(282) فامبري: المرجع السابق، ص 142، فراي: المرجع السابق، ص 246.

(283) قطوان: قرية من قرى سمرقند على خمسة فراسخ منها. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج7، ص71.

(284) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد الحادي عشر، ص 81، 85.

(285) الراوندي: المصدر السابق، ص 261.

4- أن انتشرت في سمرقند خيول ومواشي القرلق وأراد القرلق الدخول في خدمة السلطان وحمايته فأرسلوا إلى السلطان سنجر خمسة آلاف جمل وخمسة آلاف فرس وخمسين ألف رأس من الغنم، فلم يقبل هذا منهم. فدخلوا بلاد الترك قاصدين كورخان صاحب الخطا⁽²⁸⁶⁾.

واستعد كورخان للحرب وعنده جنود الترك والصين والخطا، وسار في ثلاثمائة ألف فارس، وقصد السلطان سنجر والتقى الطرفان في قطوان واقتتلوا أشد قتال، وانهمز سنجر وقتل من جيشه ثلاثون ألف قتيل منهم الحسام عمر بن عبد العزيز ابن مازة البخاري الفقيه الحنفي. وأسرت زوجة السلطان سنجر وتوجه السلطان إلى ترمذ⁽²⁸⁷⁾.
وبهذه الهزيمة انتهت شهرة سنجر العسكرية وضاع معها كل نفوذ السلاجقة ببلاد ما وراء النهر.

3- علاقة الخانيين بالخطا :

استولى الخطا على بلاد ما وراء النهر وسمرقند بعد معركة قطوان ، فكان أمراء هذه الناحية وسلاطينهم يدفعون إلى الكورخان الخراج بانتظام، وكانوا يحكمون تحت تبعيتهم بلقب السلطان والأمير، وكان السلطان الحقيقي في بخارى في يد أسرة من العلماء أطلق عليها اسم صدر جهان، وتعاونوا تعاوتًا وثيقًا مع الخطا⁽²⁸⁸⁾.

واستقرت دولة الخطا بما وراء النهر وبقي كورخان حتى سنة 537هـ/ 1142م وكانت له هيبة عظيمة ولم يسلط أميرًا على إقطاع، بل كان يعطيهم من عنده ويقول: متى أخذ الإقطاع ظلموا . وكان لا يقدم أميرًا على أكثر من مائة فارس ، حتى لا يقدر على

(286) العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص 253.

(287) العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص 253، 254. الراوندي: المصدر السابق، ص 262.

ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد الحادي عشر، ص 81، 85، 86.

القلقشندي: المصدر السابق، ج4، ص 447. وانظر أيضًا: فامبري: المرجع السابق، ص 143،

144.

- Howorth, Loc. Cit, pp 497, 498.

(288) عباس إقبال: المرجع السابق، ص 334.

العصيان عليه ، وكان ينهى أصحابه عن الظلم، وينهى عن السكر ويعاقب عليه، ولا ينهى عن الزنا ولا يقبحه.

وقد ذكر العماد الأصفهاني أن الكورخان عندما استولى على بلاد ما وراء النهر «حصل المسلمون معه تحت القهر»⁽²⁸⁹⁾ لأن عادات المسلمين وتقاليدهم تختلف عن عادات الوثنيين وتقاليدهم، وبالتالي فقد وقع قهر كبير على المسلمين.

وبعد وفاة الكورخان تولت ابنته فلم تطل مدتها وتوفيت، فتولت أمها زوجة كورخان وابنة عمه، وبقي ما وراء النهر بيد الخطا إلى أن أخذه منهم علاء الدين محمد خوارزمشاه سنة 606هـ / 1209م⁽²⁹⁰⁾.

ولم يتفق كل من زامباور وبوزورث وستانلي لين بول وهوارث على أسماء الحكام الذين تولوا الحكم تحت حكم الخطا سواء في بخارى أو في بلاد ما وراء النهر عامة.

وقد اتفق كل من بوزورث وستانلي لين بول وهوارث على اثنين من حكام بخارى؛ الأول ركن الدين قلعج إبراهيم تغجاج خان بن محمد أرسلان خان (ت 551هـ / 1156م). والثاني جلال الدين علي غور خان بن حسن تگين (ت 556هـ / 1161م)⁽²⁹¹⁾.

سقوط بخارى في أيدي الخوارزميين :

بعث أهل بلاد ما وراء النهر بوفد من أهلها عام 553هـ / 1158م إلى أيل أرسلان⁽²⁹²⁾ أمير خوارزم تستنجد به من مظالم أمير سمرقند، وأسرع أيل أرسلان إلى هناك في قوة كبيرة، وفتحت له بخارى أبوابها سلماً، إلا أنه لم يستطع أن يواجه الجيش الذي حشد له بظاهر سمرقند. فعاد إلى بلاده دون أن يحقق شيئاً مما خرج له⁽²⁹³⁾.

(289) العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص 254.

(290) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد الحادي عشر، ص 86.

(291) بوزورث: المرجع السابق، ص 162. ستانلي لين بول: المرجع السابق، ص 282.

- Howorth, Loc. Cit, p 499.

واتفق زامباور: المرجع السابق، ص 313 على الحاكم الأول فقط ولم يتفق على اسم الحاكم الثاني.

(292) أيل أرسلان: ابن أتمز، تولى حكم خوارزم 551: 558هـ / 1156: 1163م.

عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، ص 160.

(293) فامبري: المرجع السابق، ص 149.

وفي سنة 594هـ / 1198م حاصر كورخان الخطا خوارزم، وقتل خوارزمشاه تكش⁽²⁹⁴⁾ منهم خلقًا كثيرًا، ورفع الحصار ورجع جيش الخطا، ورحل تكش في إثرهم، وقصد مدينة بخارى، فقاتله أهلها مع الخطا، ثم استولى تكش عليها عنوة وعفا عن أهلها وأحسن إليهم وفرق فيهم ما لا كثيرًا، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى خوارزم⁽²⁹⁵⁾.

وأخذ أهل ما وراء النهر يشكون إلى السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه⁽²⁹⁶⁾ ما حل بهم من ظلم وجور، وكان السلطان نفسه في ضيق شديد لأدائه الخراج السنوي للخطا، فعزم الاستيلاء على ما وراء النهر⁽²⁹⁷⁾.

وقد ذكر ابن الأثير: «أن الخطا كانوا قد طالت أيامهم ببلاد تركستان وما وراء النهر، وثقلت وطأتهم على أهلها ولهم في كل مدينة نائب يجبي إليهم الأموال»⁽²⁹⁸⁾.

ضجر وأنف خان سمرقند وبخارى من تحكم الكفار في المسلمين فأرسل إلى خوارزمشاه يقول: «إن الله عز وجل قد أوجب عليك بما أعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود أن تستنقذ المسلمين وبلادهم من أيدي الكفار وتخلصهم مما يجري عليهم من التحكم في الأموال، ونحن نتفق معك على محاربة الخطا ونحمل إليك ما نحمله إليهم، ونذكر اسمك في الخطبة وعلى السكة».

فأجاب خوارزمشاه: «أخاف أنكم لا تفنون لي» فأرسل خان سمرقند وبخارى وجوه أهل بخارى وسمرقند، بعد أن حلفوا للخان على الوفاء بما وعد وأعطوا خوارزمشاه رهائن⁽²⁹⁹⁾.

(294) تكش: ابن أيل أرسلان، استولى على خوارزم من أخيه سلطان شاه، توفي سنة 596هـ / 1200م.

عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص 161.

(295) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد الثاني عشر، ص 137، 138.

النويري: المصدر السابق، ج 27، ص 204.

(296) علاء الدين محمد خوارزمشاه: تولى حكم الدولة الخوارزمية 596: 617هـ / 1200: 1221م.

عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص 162.

(297) عباس إقبال: المرجع السابق، ص 334، 335.

(298) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد الثاني عشر، ص 259.

(299) ابن الأثير: المصدر السابق، المجلد، ص 259، 260.

وقد ذكر عطا ملك الجويني السبب الذي دعا عثمان خان لمخاطبة خوارزمشاه فقال: «كان لكورخان ابنة صبيحة تشبه القمر في طلعتة، فعشق سلطان السلاطين جماها ... فخطبها سلطان السلاطين، لكن كورخان لم يعبأ بطلبه بسبب تباين المقامين ... فتأثر السلطان عثمان وتآلم. وزاد في ذلك فظاظة الجباه والشحنة والكورخانيين»⁽³⁰⁰⁾.

استقبل أهل بخارى خوارزمشاه باحترام بالغ، وعندما وصل إلى سمرقند، قدم خاقانها نصره الدين عثمان خان إلى خدمة خوارزمشاه. وتوجه خوارزمشاه لمحاربة الخطا سنة 606هـ / 1209م فعبّر نهر سيحون، وهزم الخطا هزيمة منكرة، وقتل وأسر الكثير منهم ووقع طابنكوه قائد الجيش أسيرًا.

واستولى خوارزمشاه على بلاد ما وراء النهر مدينة مدينة، وعين نوابه على كل المدن، وعاد إلى خوارزم ومعه خان بخارى وسمرقند وزوجه ابنته، وردة إلى سمرقند، وصحبته فرقة من الجنود الخوارزميين⁽³⁰¹⁾.

وبعد عودة عثمان خان إلى سمرقند بعام، تآلم لظلم الجنود الخوارزميين وجورهم واعتدائهم على الرعية، فأخذ يسيء إلى بنت خوارزمشاه. وندم على مفارقة الخطا، وأرسل إلى كورخان الخطا ليسلمه سمرقند، ويعود إلى طاعته. وأمر بقتل كل من في سمرقند من الخوارزمية، وأراد قتل بنت خوارزمشاه، فأغلقت أبواب القلعة عليها⁽³⁰²⁾.

ووصل إلى خوارزمشاه رسول من ابنته يعلمه نشوء الخلاف مع السلطان عثمان، وشروع الصداقة مع كورخان، ووضعها في مقام الاستهزاء في مجلس الأُنس، وزواجه من ابنة كورخان. وعلم أيضًا أن السلطان عثمان قتل مرافقي الأميرة⁽³⁰³⁾.

(300) عطا ملك الجويني: تاريخ جهانكشاي (فاتح العالم)، ترجمة محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، ط الأولى، 1985م، ج2، ص 31، 32.

(301) ابن الأثير: المصدر السابق والمجلد، ص 267. وانظر أيضًا: عباس إقبال: المرجع السابق، ص 335. فامبري: المرجع السابق، ص 153، 154.

(302) ابن الأثير: المصدر السابق والمجلد، ص 268. وانظر أيضًا: عباس إقبال: المرجع السابق، ص 336. Howorth, Loc. Cit, p 501.

(303) عطا ملك الجويني: المصدر السابق، ص 33.

وذكر ابن الأثير أن خوارزمشاه عندما علم بهذه الأخبار «قامت قيامته»⁽³⁰⁴⁾ وأمر أن يسجنوا أخاه أوتكين في خوارزم، وقد كان يراعه وعينه على بعض الأقاليم، وذهب بقواته إلى بلاد ما وراء النهر واستولى على سمرقند، وأباح لرجاله نهب وقتل أهل سمرقند، واستمر النهب والقتل ثلاثة أيام وقتل ما يقرب من عشرة آلاف مسلم، فحمل الصالحون والأئمة والعلماء المصاحف فوق أيديهم وقدموا إليه يتشفعون، فأوقف القتل⁽³⁰⁵⁾.

وقبض على عثمان خان وقتله صبرا، وقتل معه جماعة من أقاربه، «ولم يترك أحداً ممن ينسب إلى الخانية» وعين نوابه على جميع المدن «ولم يبق لأحد معه في البلاد حكم»⁽³⁰⁶⁾.

وصفوة القول أن خوارزمشاه قدم خدمات جليلة لأهل بلاد ما وراء النهر بانتصاره على الخطا وطردهم من بلاد ما وراء النهر. لكن جنوده أساءوا إلى الرعية وقابل عثمان خان هذه الإساءة بإساءة أكبر بأن استدعى الخطا، وقتل الخوارزميين وأراد قتل ابنة خوارزمشاه، فما كان من خوارزمشاه إلا أن انتقم من عثمان خان وقتله جوعاً وعطشاً. لكن يؤخذ على خوارزمشاه إباحته قتل أهل سمرقند وقتل منهم عشرة آلاف بدون ذنب. وهكذا تخلص خوارزمشاه من كل من ينسب إلى الدولة الخانية وسقطت الدولة الخانية سنة 607هـ / 1210م.

النتائج:

أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

- 1- الاسم الصحيح لهذه الدولة هو الدولة الخانية وهو الاسم الذي أطلق عليها في المصادر التاريخية المعاصرة.
- 2- انحدرت هذه الدولة من قبائل القارلوق إحدى قبائل الأويغور، وانضمت إلى هذه القبيلة قبائل أخرى مثل الجيكل والياغما والباسمل فيما يشبه الاتحاد تحت زعامة القارلوق.

(304) ابن الأثير: المصدر السابق، والمجلد، ص 268.

(305) عطا ملك الجويني: المصدر السابق، ص 33.

(306) ابن الأثير: المصدر السابق، والمجلد، ص 268. عطا ملك الجويني: المصدر السابق، ص 33.

وانظر أيضاً: عباس إقبال: المرجع السابق، ص 336، Howorth, Loc. Cit, p 501.

3- انتشر الإسلام في هذه الدولة نتيجة لعدة عوامل منها نشاط الأتراك الغربيين في الدعوة إلى الإسلام ونتيجة لحملة السامانيين على بلاد الترك ونتيجة لهجرة كثير من سكان ما وراء النهر إلى بلاد الترك ، وللعلاقات التجارية الوثيقة التي ربطت بلاد ما وراء النهر ببلاد الأتراك الشرقيين ، وكان لاعتناق الخانيين الإسلام أثر على انتشار الإسلام بين الأتراك الشرقيين.

4- ساهمت كثير من العوامل في استيلاء الخانيين على بخارى منها ضعف الأمراء السامانيين الأواخر وخيانة أبي علي وفائق للأمير الساماني، ودعوة دهاقين ما وراء النهر لبغراخان، وتزيين الوثاقي لبغراخان الاستيلاء على ما وراء النهر وتدهور الأحوال المالية للسامانيين ، بالإضافة لموقف الفقهاء المسلمين من غزو الخان لبخارى.

5- اتخذ الخانيين أوزكند - إحدى المدن الواقعة شرق فرغانة - مقرًا لخان بلاد ما وراء النهر لأنها أكثر أمنًا وأقل خطرًا من المدن الداخلية ثم تحولوا بعد ذلك إلى سمرقند لتكون مقرًا للخان.

6- قام الخان بتعيين نائب له في بخارى وكان في أغلب الأحيان من الأسرة الحاكمة، وكان يطلق عليه الخان المشارك.

7- اتبع الخانيون نظام اللامركزية في الإدارة وفتتوا السلطة فيما وراء النهر واعتمدوا على الجهاز الإداري الفارسي لإدارة مدنها ولم يبتعدوا عن حياتهم الصحراوية.

8- عمل الخانيون على نشر الأمن ومنع الاعتداء على الممتلكات والمحافظة على الأسعار وتخفيف الضرائب مما جعلهم يتمتعون بحب الناس.

9- اهتموا بإقامة العديد من المنشآت العامة من مساجد ومدارس ودور ضيافة ورباطات وحمامات ، بالإضافة إلى القصور وقد ظلت هذه المنشآت قائمة لعدة قرون.

10- تقرب الخانيون من العلماء وخاصة الصوفية. كما اهتموا بالأدب وشجعوا الأدباء.

11- حرص الخانيون على إقامة علاقات وطيدة مع الغزنويين عن طريق المصاهرة والتحالف ، إلا أنه قد شاب هذه العلاقات أحيانًا بعض التوتر مما حدا بالسلطين الغزنويين إلى مهاجمة بلاد ما وراء النهر.

12- فرض السلاجقة نفوذهم على بلاد ما وراء النهر في عهد ملكشاه ثم بركياروق ثم سنجر ونعمت البلاد بالهدوء إلى حد ما.

13- في سنة 536هـ / 1141م هزم الخطا السلطان سنجر ووقعت بخارى وبلاد ما وراء النهر تحت سيطرة الأتراك الوثنيين. وسار تعيين حكام بلاد ما وراء النهر بيد كورخان الخطا.

14- استطاع علاء الدين محمد خوارزمشاه تخلص بلاد ما وراء النهر من الخطا سنة 606هـ / 1209م وقضى على ما بقي من الأسرة الخانية سنة 607هـ / 1210م. وبذلك سقطت الدولة الخانية التي استمرت في بخارى وبلاد ما وراء النهر ما يقرب من 218 سنة.

وفي الختام أتمنى أن أكون قد وفقت في إلقاء الضوء على جانب من تاريخ هذه الدولة.

